بسم الله الرحمن الرحيم

القاديانى والقاديانية

دراسة وتحليل

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مدير ندوة العلماء بالهند

وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

الدار السعودية

للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م
الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م
الطبعة الرابعة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م
الطبعة الخامسة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م

جدة : الإدارة - البغدادية عمارة أجوهرة الدور الثاني شقة رقم ٧ و١٢
تليفون ٦٤٣٢٨٢١/٦٤٢٤٠٤٣ ص. ب: ٢٠٤٣ برقياً: نشر دار -
الرياض: السليمانية، شارع الأربعين تليفون ٤٦٤٧٥١٥ ص.ب: ٩٤٧٣
الدمام : الشارع العام، عمارة المنصور والعسيلي ص.ب: ٨٩٩ تليفون ٢٣٥١٥
برقياً: نشر دار الدمام.

ترجمة المؤلف

أمين عام لندوة العلماء لكهنؤ الهند ، ورئيس دار العلوم التابعة لها .

وهو بجانب ذلك :

رئيس المجمع الاسلامي العلمي في لكهنؤ الهند ، وعضو مراسل للمجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو في المجلس الأعلى للشؤون الدينية لوزارة الأوقاف بالقاهرة ، والمجلس الاستشاري للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، والمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المعظمة ، والمؤتمر الإسلامي بالقدس ، والمؤتمر الإسلامي في بيروت ، والمركز الإسلامي في جنيف ، ومجلس الشورى لدار العلوم ديوبند الهند ، والمجلس التنفيذي لدار المصنفين في أعظم كره ، الهند ، ودائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد ، الهند .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد فقد ظهرت الديانة القاديانية في آخر القرن التاسع عشر المسيحي في الهند بعد استقرار الحكم الانجليزي فيها وهي ثورة على النبوة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ وعلى الإسلام ، ومؤامرة دينية وسياسية ، إن وجد لها نظير في الخطر والضرر على الإسلام ، ففي الحركة الإسماعيلية الباطنية التي تولى كبرها عبيد الله بن ميمون القداح في القرن الثالث الهجري ، وأشك أنها بلغت مبلغ الأولى ـ القاديانية ـ في أصالة الفساد . ودقة المؤامرة ومعاداة الإسلام .

وتبنتها الحكومة الانجليزية واحتضنتها ، وساعدتها

العوامل الإجتماعية والسياسية والفكرية الكثيرة التي توفرت في عصر ظهورها فانتشرت على بعدها من الإسلام وأصبحت طائفة كبيرة يحسب لها الحساب ، وأصبحت « قاديان » مركز دعوة ودعاية وسياسة يدين لها ويؤم شطرها بعض كبار المثقفين ـ الثقافة العصرية ـ ورجال الدولة ، ولا يرى لها نشاط إلا في المناظرات وإثارة الشكوك والشبهات في المسلمين وتأييد السياسة الانجليزية ونشر الدعاية لعقيدتها الخاصة في الهند وخارج الهند ، حتى انقسمت الهند عام ١٩٤٧ وتكونت باكستان وفرضت الحكومة الإنجليزية الراحلة عن الهند ظفر الله خان على باكستان كوزير للخارجية ، وانتهز الأخير فرصة سلطته بكل حزم وعزم ، فشحن لوزارة الخارجية والمفوضيات في عواصم العالم بالقاديانيين ، ودسهم في مصالح الحكومة الأخرى ، وسلطهم على رقاب الموظفين المسلمين ، وتسربوا في الجيوش الباكستانية ، واحتلوا مناصب خطيرة في الجيش ، وفي الشرطة وفي مصلحة الطيران .

وقد كونوا إمارة حرة في بنجاب تسمى « الربوة[1] » وهي مستعمرة قاديانية لا يوظف فيها إلا القادياني ، ويمكن أن تشبه الربوة في باكستان بإسرائيل في فلسطين ، وكلاهما جاثم على

---

(١) سموها الربوة ليطبقوا عليها قوله تعالى ، وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ، وهذا هو المنطق القادياني المعروف .

صدر المسلمين وقائم منهم بالمرصاد .

وبدأت القاديانية توجه دعوتها ورسالتها إلى البلاد العربية والإسلامية ، وبدأت تظهر في العراق وسورية وتنتشر في اندونيسيا[1] ، ومن أعز أمانيها وأحلامها ومن أعظم مطامحها ، أن تنتشر في جزيرة العرب ـ مهد الإسلام وعاصمة محمد عليه الصلاة والسلام ـ وأن يكون لها مركز قوي في مكة أو المدينة شرفهما الله وأعاذهما من كل فتنة وإلحاد ، وبدأت تعنى بالجهات القاصية في قارة افريقية والدول الاسلامية الناشئة ، ولا تضيع فرصة لنشر دعايتها وتوجيه دعوتها في المؤتمرات السياسية والندوات العلمية العالمية والمؤسسات الدينية الكبيرة .

لقد فزع علماء المسلمين ورجال الدين لهذه الفتنة من اول يومها ، وكان أول من فزع لها علماء الهند بطبيعة الحال ، فحاربوها بأقلامهم وألسنتهم وعلمهم ، وذلك أقصى ما كان يمكن في عهد الدولة الانجليزية ، وكان في مقدمة هؤلاء المجاهدين الشيخ محمد حسين البتالوي ، ومولانا محمد علي المونكيري مؤسس ندوة العلماء والشيخ ثناء الله الأمرتسري ، والعلامة الكبير الشيخ أنور شاه الكشميري الذي أقلقته هذه

---

(١) يقال ان عدد من يدين بها كبير وعشر في اندونيسيا ، ومنهم بعض كبار المثقفين ورجال السياسة .

الفتنة وشغلت خاطره وتفكيره واستولت على مشاعره ، وكان من أنشط الجمعيات والجماعات في محاربة هذه الفتنة الباغية جمعية الأحرار وعلى رأسها وفي مقدمتها الخطيب المصقع السيد عطاء الله البخاري الأمرتسري[1] ، ومن هؤلاء الموفقين الدكتور محمد إقبال الذي كان من كبار المثقفين المتنورين الذين أنجبهم العالم الإسلامي في العصر الأخير ، ومن كبار الدعاة إلى الاتحاد الإسلامي المتمسكين بمبدأ التسامح ، ومع ذلك كان أول من دعا إلى فصل القاديانيين من المسلمين واعتبارهم أقلية غير مسلمة .

وأطبق العلماء على تضليل القاديانيين وتكفيرهم وأصبح ذلك كلمة اجماع لم يشذ منها إلا شاذ ، وأفتوا وألفوا في ذلك مؤلفات كثيرة ، وأصدرت مراكز الفتوى فتاوى صريحة بكفرهم وارتدادهم عن دين الإسلام ، وأصدرت محكمة بهاولبور سنة ١٩٣٥م بعد مناقشة طويلة دامت عامين كاملين واشترك فيها كبار علماء أهل السنة وكبار علماء القاديانية ، حكمها بكفر القاديانية ، وعدم حلة نكاح المسلمة بالقادياني ، وكتب القاضي الفاضل محمد أكبر خان حيثيات الحكم في تفصيل واستدلال ، وحكم بارتداد القادياني ، وأن نكاح عائشة

---

(١) توفي الى رحمة الله في ربيع الأول سنة ١٣٨١ هـ (اغسطس ١٩٦١م) .

بنت إلهي بخش مع عبد الرزاق القادياني باطل شرعاً ، وقد استعرض دلائل الفريقين وناقشها نحو مائة وخمسين صفحة أصبح من المصادر العلمية والمراجع القضائية في هذا الموضوع[1] .

ولما اشتد خطب القاديانية ، وكادت تستولي على باكستان - الدولة الإسلامية الكبرى - ويفلت الزمام من يد الإسلام ، فزعت الجماعات الإسلامية والأحزاب المختلفة والشخصيات الدينية بهذا الوضع الشاذ ، واجتمع منهم ثلاثة وثلاثون ممثلاً من رؤساء الجمعيات والجماعات الدينية وكبار العلماء في باكستان في يناير عام ١٩٥٣ م في كراچي ، فطلبوا من الحكومة أن تجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة لها حقوقها ، وأن تخصص لهم ما يستحقون حسب عددهم من المقاعد في البرلمان الباكستاني ، وما يستحقون من الوظائف في مختلف المصالح والادارات حتى لا يستولوا على أداة الحكومة والجهاز الاداري في باكستان ، ولا يضايقوا المسلمين في دولتهم التي أسسوها بدمائهم وأشلائهم .

وتصامت الحكومة عن هذه المطالبة العادلة الصارخة ، ولم تعرها شيئاً من العناية ، فاضطر قادة الفكر إلى حركة عامة

---

(١) راجع فصيله ، مقدمه بهاولپور ، طبع في ١٩٣٥ م في لاهور في اللغة الأردوية .

تبدي السخط العام وتقنع الحكومة بتغلغل هذه الفكرة ، والرغبة في طبقات الجمهور ، وكانت حركة شعبية هائلة لم تشهد البلاد مثلها منذ عهد بعيد ، وقد أضعفت هذه الحركة القاديانية كثيراً وأقصتها عن الحياة العامة والمجتمع الإسلامي ، وانتهت بسحب ظفر الله خان عن الوزارة أخيراً ، ولكنها لا تزال قوة في الداخل ودعاية في الخارج ، ولا تزال خطراً على الفكرة الإسلامية ووحدتها في العالم الإسلامي ، وعلى الجيل الجديد الذي لم يهضم الإسلام ولم يتشرب تعاليمه وثقافته ولم ترسخ فيه العقيدة الإسلامية الأصيلة ، ولا تزال نشيطة في بث دعوتها وعقيدتها في الأقطار العربية التي لا تخلو من الفوضى الفكرية ـ كغيرها من الأقطار ـ وجهل العقيدة الإسلامية في بعض الأوساط وقلة الحمية الدينية في بعضها ، أضف إلى ذلك جهل إخواننا العرب الشباب لحقيقة القاديانية وتاريخها وعقائدها ، وعجزهم عن الإطلاع على مصادرها ومؤلفات مؤسسها ، وانخداعهم بالدعايات وتأييد ظفر الله خان لبعض القضايا الإسلامية ، وبعض مواهبه وشهرته التي لا صلة لها بالعقيدة وصحتها ، والتي يرزقها الكافر والمؤمن ، والفاسق والصالح .

وقد عني بعض كبار العلماء في مصر والشام بالرد على القاديانية ، وكانت لهم في ذلك مواقف محمودة يستحقون عليها الشكر والتقدير ، ولم يمكنهم الاطلاع على العقيدة

القاديانية وطبيعتها وتاريخها والدور الذي مثلته ، لأن المكتبة القاديانية لا تزال في « اردو » ، ومؤلفات المرزا غلام أحمد العربية - على قلتها - يضن بها ويحرص على إخفائها ، فلم تكن كتابات علمائنا في البلاد العربية - على قيمتها العلمية والدينية - تصويراً دقيقاً صادقاً للديانة القاديانية وما تشتمل عليه من طامات ، وقد وجدت في زياراتي للشرق العربي وإقامتي في حواضره وعواصمه رغبة ملحة في نقل العقائد القاديانية وتعاليمها إلى العربية ، وتعريفها إلى العلماء العرب حتى يصح لهم الحكم عليها ويمكنهم نقدها وتزييفها .

كل ذلك أقلق شيخنا الجليل العارف الكبير مولانا عبد القادر الرأي بوري[1] الذي يلتهب غيرة على الإسلام وعقيدته وحماسة في الدفاع عن كرامة الرسول وعرضه ، والذي هو من أعرف الناس بأخطار القاديانية وأهدافها ، قد عاصر ولادة القاديانية ونشؤها وقابل مؤسسها ، وجلس إلى صاحب فكرتها وسرها الحكيم نور الدين ، وكان دائماً من وراء الجهاد ضد الحركة القاديانية في بنجاب ومدده الروحي وسنده الديني ، وأمرني بتأليف كتاب بالعربية أعرض فيه الديانة القاديانية

---

(١) استأثرت به رحمة الله تعالى في ١٤ ربيع الأول من سنة ١٣٨٢ هـ (١٦ اغسطس ١٩٦٢ م) في لاهور ، فهوى بذلك علم من أعلام الإصلاح والتربية واليقين والمعرفة ، رحمه الله تعالى .

وعقيدتها وتاريخها ، وقد حثه على ذلك ندوة ما يقدم في هذا الموضوع إلى المثقفين العرب ، فقد انعقدت الندوة العلمية العالمية في لاهور في يناير ١٩٥٨ م وحضرها وفود من العالم العربي ، وتساءل كثير من أعضائها عن القاديانية ، ولم يجد أصدقاؤنا - على شدة حرصهم - ما يقدمونه إلى هؤلاء العلماء .

وصلت إلى لاهور على إثر هذه الندوة العلمية ، فكان الشيخ وكان أصدقائي الكثيرون في انتظاري ، وكان الشيخ مصمماً على أن لا يتركني حتى أؤلف هذا الكتاب ، ورأيت منه الجد والحرص الشديد على هذا التأليف الذي يراه حاجة من حاجات هذا العصر الإسلامية ودفاعاً عن كرامة الرسالة المحمدية الأخيرة ، التي تلاعب بها واجترأ عليها هذا الجسور ، وعرض الإسلام للخطر الدائم ، ورأيت من سعادتي أن يقع علي اختيار أحد كبار المخلصين ، وأن أكون جندياً صغيراً للدفاع عن الإسلام ، وأن أتافح عن عرض محمد عليه الصلاة والسلام ، وعن حماه وأرد عنه الكلاب والذئاب .

وكنت مكلفاً بدراسة المكتبة القاديانية الضخمة الثقيلة التي خلفها مؤسسها وبعض اتباعه واستعراضها ، ولم يتفق لي ذلك من قبل[1] ، إذ لم يكن شيء أثقل علي وأبغض إلى من

---

(١) سبق للمؤلف بحث في الموضوع أسماه « القاديانية ثورة على النبوة المحمدية =

قراءة هذه الكتب الضخمة التي كتبت في أسلوب ثقيل لا تفيد قارئها علماً جديداً ولا تروح نفسه ، فليس فيها علم غزير ، ولا طرافة ولا متعة أدبية ، ولكني عزمت على ذلك واعتكفت في حجرة من حجرات منزل الوجيه الفاضل الشيخ عبد الحميد عضو البرلمان الباكستاني والوزير السابق ، وحضر لي الاخوان مكتبة القاديانية ومن كتبها ما يحتوي على أكثر من ألف صفحة ومنها ما يشمل على أقل منه ، وعكفت على مطالعتها والاقتباس منها ، ثم بدأت أكون رأيي وفكرتي فأكتب وأؤلف ، حتى تم الكتاب في قرابة شهر ، وكان ذلك في اليوم السابع والعشرين من فبراير عام ١٩٥٨ م ، والحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات .

وقد كان دليلي في هذه المكتبة الواسعة صاحب هذه المكتبة مولانا محمد حياة الذي يكاد يكون دائرة معارف القاديانية . وله اقتدار عجيب واستحضار غريب لكل ما يتصل بالقاديانية ، وكنت أقتبس من كلتا المكتبتين الصامتة والناطقة ، واعترف أني لم أكن أستطيع أن أؤدي مهمتي لولا مساعدة هذا الاستاذ الكبير الذي يتهيبه الدعاة القاديانيون ويتحامون مناظرته .

= والإسلام ، ولكنه بحث موجز ونظرة عجلى في القاديانية ، لم يتعرض المؤلف لأجلها المكتبة القاديانية واقتصر فيها على بعض النقول والآراء .

وأذكر بالشكر والتقدير المجاهد الكبير الشيخ محمد علي الجالندهري ، أمين « مجلس تحفظ ختم نبوت » ، وقد كان من كبار المرحبين بفكرة التأليف والمشجعين لإتمامه ، كما أشكر الأساتذة لآل حسين أختر واحسان احمد الشجاع آبادي وعبد الوحيد وعبد القادر بما نلت منهم من مساعدات ومصادر قيمة في الموضوع .

وأخيراً لا آخراً يدين مؤلف الكتاب للأستاذ الكبير المرحوم محمد إلياس البرني لما أفاد من كتابه العظيم « قادياني مذهب » ، الذي يعتبر موسوعة في المعلومات عن القاديانية ، وكان له توجيه كبير في وضع المخطط لتأليف هذا الكتاب ، رحم الله المؤلف وجزاه عن الاسلام خير الجزاء .

أما بعد فقد كتبت هذا الكتاب في أسلوب عصري شائق ، وتحاميت الأسلوب الجدلي القديم ، حتى لا يزهد في قرائته الشباب المثقف ، وتناولت شخصية مؤسس الديانة بالدراسة والتحليل العلمي ، وذكرت كيف تطورت فكرته وعقيدته ، وانتقدت الديانة وصاحبها في اسلوب علمي نزيه ، وتحريت الدقة والصحة والأمانة في ترجمة العبارات والنصوص وحكايتها والاحالة إلى الصفحات ، وذكرت المصادر القاديانية مع بيان طبعاتها لأن القاديانيين عرفوا بالتغيير في الطبعات المختلفة ، واشتهروا بالمكابرة وجحود النقل .

وأرجو أن يكون هذا الكتاب الصغير منيراً للفكر وزاداً للدعاة ؛ ومغنياً عن الأسفار الكبيرة .

وصلى الله على خير خلقه وخاتم رسله وأنبيائه سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

ندوة العلماء لكهنؤ (الهند) سلخ شعبان ١٣٧٧ هـ

البَابُ الأول

الشخصيات الأساسية وعصرها وبيئتها

الفصل الأول

القرن التاسع عشر المسيحي

يتسم القرن التاسع عشر المسيحي بالاضطراب الفكري والثورات النفسية في الشرق الإسلامي ، وقد اشتد هذا الاضطراب وعنف هذا الصراع في الهند بصفة خاصة ، حيث كان الصراع بين الحضارتين - الغربية والشرقية - ، وبين الثقافتين - الحديثة والقديمة - ، وبين الديانتين - الإسلامية والمسيحية - أوضح وأقوى .

أخفقت ثورة الهند الكبرى ، ثورة ١٨٥٧ م ، وأصابت المسلمين في الهند دهشة الفتح ونكبة الهزيمة ، وعانوا وطأة الاستعمار السياسي ، ووطأة الاستعمار الثقافي ، وقامت الدولة الفتاة المنتصرة تنشر ثقافتها وحضارتها ، وانتشر القسوس في الهند يدعون إلى المسيحية ، ويحرصون على زعزعة العقيدة الإسلامية وإضعاف الثقة بأسس العقيدة ومصادر

الشريعة ، وكان الجيل الناشىء - الذي لم ترسخ فيه التعاليم الإسلامية - فريسة هذه الدعوة بصفة خاصة ، وكانت المدارس الثانوية والكليات - والجامعات قليلة في ذلك العصر - مرتعاً خصيباً للاضطراب الفكري والثورة النفسية ، وظهرت حركة التنصر ، وكانت موجة الالحاد والتردد في العقائد أقوى وأطغى ، وكثرت المناظرات بين القسوس وعلماء الإسلام ، انتصر فيها العلماء وظهرت فيها قوة حجج الإسلام ، ولكن تلا كل ذلك قلق في النفوس وتبلبل في الأفكار والعقائد .

واتسع الخرق بين الفرق الإسلامية ، وتحمست كل فرقة في الرد على غيرها ، وكثرت المناظرات والمجادلات أدت في بعض الاحيان إلى المضاربات والمحاكمات ، وحمي الوطيس وعنف الصراع ، وكل ذلك أحدث قلقاً فكرياً وأضعف حرمة الدين ومهابته ، وحط من مكانة العلماء وكرامتهم .

ونشط المحترفون بالتصوف ، والناقصون في نشر شطحاتهم والهاماتهم ، وقويت رغبة العامة والدهماء في الأمور الغريبة ، والخوارق العجيبة ، والأخبار الغيبية ، وكثر المتطفلون والأدعياء وهيأوا العقول والنفوس لكل أمر غريب ، وشيء جديد ، ولكل دعوة طريفة وحديث خرافة .

استولى على المسلمين اليأس والتذمر والقلق ، ويئس الناس من إصلاح الأوضاع بالأساليب العادية الضيقة ، وبدأوا

يتطلعون إلى منقذ جديد غريب ، وكثر الحديث عن الفتن والعصر الأخير ، وكثرت التنبؤات والالهامات ، وذاعت انتسابات والتكهنات .

وكانت بنجاب أكبر مجال للقلق الفكري وضعف العقيدة والعلم ، فقد قاست هذه الناحية من بلاد الهند حكم السكه الذي كان أشبه بالحكومة العسكرية أو الحكم العرفي ثمانين حولاً ، تزلزلت في خلالها العقائد ، وضعفت الحمية الدينية ، وفقدت الثقافة الإسلامية الصحيحة ، واضطربت الأفكار والعقول والنفوس اضطراباً عظيماً ، وتهيأت لكل ثورة فكرية ، ودعوة متطرفة .

وقد ظهر المرزا غلام أحمد في أواخر القرن التاسع عشر ، فوجد محيطاً مناسباً لفكرته ودعوته وطموحه ، ووجد من البيئة التي نشأ فيها ، والظروف والأوضاع التي عاصرته ورافقته كل مساعد ومشجع ، ووجد من الحكومة التي كانت في أشد الحاجة إلى زعيم روحي يؤيد سياستها ويشيع لها كل ترحيب وتشجيع ، وهكذا سارت القاديانية سيرها تحت ظروف مساعدة حتى أصبحت ديانة مستقلة ، وأصبحت مشكلة تهدد العالم الإسلامي .

وعن هذه المشكلة ونشوءها وتطورها نتحدث في هذا الكتاب .

الفصل الثاني

المرزا أحمد غلام[1]

نسبه واسرته :

ينتمي المرزا غلام أحمد القادياني إلى السلالة المغولية ، وإلى فرع من فروعها يسمى « برلاس[2] » ، وظهر له متأخراً (أو ألهم من الله وكلم على التعبير الذي يؤثره) أنه من النسل الفارسي[3] ، وكان جده الكبير المرزا كل محمد ، صاحب قرى وأملاك ، وصاحب إمارة في پنجاب ، وقد خسرها جده المرزا عطا محمد في حرب دارت بينه وبين

---

(١) اقتصرنا في ترجمته على مؤلفات المرزا غلام أحمد نفسه وتصريحاته وكتاباته ، وكتاب سيرة المهدي لنجله الأوسط المرزا بشير أحمد ، والمصادر القاديانية فقط .

(٢) هامش كتاب البرية للمرزا غلام أحمد ص ١٣٤ .

(٣) الأربعين رقم ٢ ص ١٧ عن الهامش ، وترجمة الاستفتاء ملحق حقيقة الوحي ص ٧٧ وقد احتج كثيراً بحديث « لو كان الإيمان بالثريا لناله رجل من فارس » .

السكه ـ الذين استولوا على بنجاب في فجر القرن التاسع عشر ـ وبقيت له خمس قرى من هذا التراث الكبير[1] .

وقد عرف بيته ـ كما يحدثنا المرزا مرة بعد مرة ويتباهى بذلك في رسالته التي قدمها إلى الحكومة الانجليزية ـ بالولاء والإخلاص للإنجليز ، والتفاني في طاعتهم وتشييد ملكهم ، يقول : « لقد أقرت الحكومة بأن أسرتي في مقدمة الأسر التي عرفت في الهند بالنصح والاخلاص للحكومة الإنجليزية ، ودلت الوثائق التاريخية على أن والدي وأسرتي كانوا من كبار المخلصين لهذه الحكومة من أول عهدها ، وصدق ذلك الموظفون الانجليز الكبار . وقد قدم والدي فرقة مؤلفة من خمسين فارساً لمساعدة الحكومة الانجليزية في ثورة عام ١٨٥٧ م ، وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة ، وكان أخي الأكبر غلام قادر بجوار الانجليز على جبهة من جبهات حرب الثورة[2] » .

ولادته :

ولد المرزا عام ١٨٣٩ م أو ١٨٤٠ م في آخر عهد حكومة السكه في بنجاب في قرية قاديان من مديرية

---

(١) كتاب البرية ص ١٤٢ ـ ١٤٤ .

(٢) كتاب البرية ، الإعلان المؤرخ ٢٠ من سبتمبر ١٨٩٧ م ص ٣ ـ ٥

« كرداسبور » (الواقعة بعد التقسيم في الهند) ، وكان في السابعة عشرة من عمره يوم نشبت الثورة الهندية الكبرى[1] .

ثقافته :

تلقى المرزا مبادىء العلم وقرأ الكتب المتوسطة في المنطق والحكمة والعلوم الدينية والأدبية في داره على الأساتذة فضل إلهي ، وفضل أحمد ، ووكل علي شاه ، والطب القديم على والده الذي كان طبيباً ماهراً ، وعرف أيام الطلب بالعكوف على المطالعة والانقطاع إليها وإجهاد النفس حتى حمل ذلك والده مراراً على الاشفاق إلى صحته[2] .

وظيفته واشغاله :

توظف المرزا في محكمة حاكم المديرية في مدينة سيالكوت بمرتب يساوي خمس عشرة روبية[3] (جنيهاً مصرياً وزيادة يسيرة) وبقي على ذلك أربع سنوات من عام ١٨٦٤ م إلى عام ١٨٦٨ [4] ، قرأ خلال ذلك كتابين في الانجليزية[5] ،

---

(١) كتاب البرية ص ١٤٦ .

(٢) كتاب البرية ص ١٤٩ - ١٥٠

(٣) كتاب « تحفه - شهزاده ويلز » (هدية الى ولي العهد سمو امير ويلز) بقلم المرزا بشير الدين محمود نجل مؤسس الضيالة وخليفته الثاني ص ٣٤ .

(٤) سيرة المهدي ص ٤٤ ، ج ١ - (٥) سيرة المهدي ص ١٥٥ ، ج ١

ودخل في اختبار للحقوق وأخفق فيه[1] ، واستقال من هذه الوظيفة عام ١٨٦٨ م ، وشارك والده في المحاكمات والقضايا التي كان مشغولاً بها ، وكان يتفرغ رغماً عن ذلك لمطالعة كتب التفسير والحديث والتدبر في القرآن كما يقول[2] .

صفته واخلاقه :

وقد لوحظ عليه من بداية أمره البساطة والغرارة وقلة الفطنة والاستغراق ، فكان لا يحسن ملأ الساعة ، وكان إذا أراد أن يعرف الوقت وضع أنملته على ميناء الساعة وعد الأرقام عداً[3] ، وكان لا يحسن لبس الأحذية الإفرنجية الجديدة ، ولا يميز الأيمن منها من الأيسر حتى اضطر لذلك إلى وضع العلامة عليها بالحبر ، وكان يخطىء رغم ذلك[4] ، وكان يضع أحجار الاستنجاء التي يحتاج إليها كثيراً ، وأقراص القنند ـ التي كان مغرماً بها ـ في مخبأ واحد[5] .

---

(١) سيرة المهدي ص ١٥٦ ، ج١ .
(٢) كتاب البرية ص ١٥٥ (الهامش) .
(٣) سيرة المهدي ص ١٨٠ ج١ .
(٤) سيرة المهدي ص ٦٧ ج١ .
(٥) ترجمة السيرز لمعوتج الدين عمر القدباني ملحقة بكتاب (براهين أحمدية) الجزء الأول ص ٦٧ .

صحته وامراضه :

وقد أصيب في شبابه بمرض هستيريا (HYSTERIA) والنوبات العصبية العنيفة ، وكان يغمى عليه في بعض هذه النوبات ويخر صريعاً[1] ، وكان يسمى ذلك بهستيريا بعض الأحيان وبالمراق أحياناً ، وأصيب بداء البول السكري (DIABETES) ، وقد ساعده ذلك كثيراً بعد ما ادعى أنه هو المسيح الموعود على تأويل الردائين الأصفرين اللذين ينزل فيهما المسيح كما جاء في الأخبار[2] .

ونقل عنه الاشتغال بالعبادات والمجاهدات ومواصلة الصيام شهوراً ، وجلس في خلوة « أربعين » في هوشيارپور سنة ١٨٨٦ م ومكث فيها عشرين يوماً أيضاً[3] ، ومنعه انحراف صحته وضعفه من مواصلة هذه المجاهدات .

معيشته :

بدأ المرزا حياته كموظف صغير يزيد مرتبه على جنيه قليلاً ، وبدأ حياته في تقشف وزهادة ، حتى تبوأ الزعامة

---

(١) سيرة المهدي ص ١٧ ج١ .

(٢) إقرأ الفصل الثاني من الباب الثاني .

(٣) سيرة المهدي ص ٧١ ج١

الدينية ـ التي سنشرحها في فصل قادم ـ فاتسع له العيش وأقبلت عليه الدنيا ، وقد ذكر ذلك بنفسه فقال : إنني لم أكن آمل نظراً إلى حياتي وإمكانيتها أن يحصل لي عشر روبيات شهرياً ، ولكن الله الذي يرفع الفقراء من الحضيض ويرغم المتكبرين ، قد أخذ بيدي ، وأنا أؤكد أن ما جاءني من الوارد ومن الاعلانات والتبرعات إلى هذا الوقت (عام ١٩٠٧ م) لا يقل عن ثلاثمائة ألف ربية وربما يزيد على ذلك[1] .

وقد توسع بعد ذلك في المطاعم والمشارب والأبنية ، وعني بتناول الأطعمة المغذية والأدوية والمعجونات المقوية الثمينة ، واستعمال المسك والعنبر ، وكان يتعاطى في بعض الأحيان بعض أنواع المشروبات المقوية المسكرة مثل (TONIC WINE)[2] ، وتصرف في الأموال والواردات تصرفاً مطلقاً أثار اعتراضاً من بعض كبار المخلصين[3] .

زواجه وذريته :

تزوج أولاً سنة ١٨٥٢ م أو في ١٨٥٣ في أسرته ، ورزق منها ولدين ، أحدهما المرزا سلطان أحمد والآخر المرزا فضل

---

(١) حقيقة الوحي ص ٢١١ ـ ٢١٢ .

(٢) مجموع الرسائل ص ٥ .

(٣) أنظر كتاب كشف الاختلاف للسيوي سرور شاه الكشميري القادياني ص ١٣ و ١٥ .

أحمد ، (طلق هذه الزوجة عام ١٨٩١ م) وتزوج بعد ذلك في دهلي عام ١٨٨٤ م ، والقاديانيون يلقبون هذه الزوجة الثانية بأم المؤمنين ، وقد ولدت له سائر أولاده ، منهم خليفته الحالي المرزا بشير الدين محمود ، والمرزا بشير أحمد ، صاحب كتاب « سيرة المهدي » ؛ والمرزا شريف أحمد[٢] .

وتنبأ عام ١٨٨٨ م بأنه سيتزوج الفتاة « محمدي بيكم » وهي من أسرته ، وقد أخبر أنه أمر قد قضي في السماء ، ونبأه الله به مراراً وتكراراً وتحدى عليه العالم ، وتزوجت الفتاة بشاب آخر وعاشا بعد وفاته مدة طويلة[٣] .

وفاتـه :

وقد تحدى عام ١٩٠٧ م العالم المشهور بمولانا ثناء الله الأمرتسري بأن الكاذب المفتري من الرجلين سيموت ، ودعا الله تعالى أن يقبض المبطل في حياة صاحبه ويسلط عليه داءاً مثل الهيضة والطاعون يكون فيه حتفه[٣] .

وفي شهر مايو ١٩٠٨ م أصيب بالهيضة الوبائية[٤] ، وهو

---

(١) سيرة المهدي ص ٥٣ ج ١ .

(٢) إقرأ فصل « نبوءته تتحقق » .

(٣) (ينتبع رسالات « المحدث العاشر ص ١٢٠ إعلان من المؤلف) .

(٤) إقرأ بتفاصيل المرزا نفسه البوائق باختصار ، أنظر حياة ناصر للبوات ناصر الدهلوي ص ١٤ ـ ١٥ .

في لاهور ، وأعيا الداء الأطباء ومات في الساعة العاشرة ونصف صباحاً ، وكان ذلك في اليوم السادس والعشرين من مايو سنة ١٩٠٨ م[1] ، ونقلت جثته إلى قاديان حيث دفن في المقبرة التي سماها بمقبرة الجنة (بهشتي مقبرة) ، وخلفه حكيم نور الدين

---

(١) سيرة المهدي ص ١١ ج١ ، أما مولانا ثناء الله الأمرتسري الذي تحداه مرزا غلام أحمد فقد عاش بعد موته أربعين سنة وتوفي الى رحمة الله تعالى في ١٥ من مارس سنة ١٩٤٨ م وهو في الثمانين من عمره ، وانطبق على المرزا ما قاله في اعلانه المؤرخ ٥ من أبريل ١٩٠٧ م ، ان كنت كذاباً ومفترياً كما تزعم في كل مقالة لك فاني سأهلك في حياتك ، لأني أعلم أن لمفسد الكذاب لا يعيش طويلاً ، وفي عاقبة الأمر يموت ذلاً وحسرة في حياة أشد اعدائه حتى لا يتمكن من افساد عباده » .

الفصل الثالث

الحكيم نور الدين البهيروي

وتلي شخصية المرزا غلام أحمد القادياني - مؤسس الديانة والطائفة - شخصية الحكيم نور الدين ، ويعتقد بعض الباحثين أنه صاحب الفكرة والتصميم في الحركة القاديانية ، فلنتعرف عليه .

نشأته وثقافته :

ولد الحكيم نور الدين حول عام ١٢٥٨ هـ أو ١٨٤١ م يعني قبل الثورة الهندية بست عشرة سنة في بهيرة من مديرية شاه پور[1] في پنجاب ، وكان أبوه الحافظ غلام رسول إماماً في مسجد في « بهيرة » ، وينتهي نسبه - كما روى - إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

---

(١) تسمى هذه المديرية الآن « سركودها » وهي في غربي باكستان .

تعلم الحكيم الفارسية والخط ومبادىء العربية ، وعين أستاذاً للفارسية في مدرسة من مدارس الحكومة في « روالبندي » في ١٨٥٨ م وتعلم الأقليدس والحساب والجغرافية واجتاز امتحاناً وعين مديراً لمدرسة ابتدائية ، ومكث في هذه الوظيفة أربع سنوات قرأ في خلالها بعض كتب النحو والمنطق والتوحيد (علم العقائد) واعتزل هذه الوظيفة وانقطع إلى الدراسة وقرأ شيئاً يسيراً على الشيخ أحمد دين الذي كان معروفاً باخلاصه وصلاحه ، وصاحبه في السفر والحضر ، ثم تركه لكثرة جولاته ، وسافر إلى لاهور ومنها إلى « رامبور » الإمارة المسلمة في المقاطعة الشمالية والمركز العلمي الكبير ، وقرأ على الشيخ حسن شاه ، والشيخ عزيز الله والشيخ إرشاد حسين ، والمفتي سعد الله ، والشيخ عبد العلي ، وأتم دراسته ومكث هناك ثلاث سنين .

ومن رامبور سافر الى « لكهنؤ » بلد العلم والثقافة المعروف ، وقرأ الطب العربي (القديم) على طبيبها المشهور الحكيم علي حسين ، ومكث معه سنتين وحذق علم الطب ، ومن رامبور سافر إلى « بهوپال » الإمارة المسلمة كذلك والمركز العلمي الكبير ، وعني به المنشي جمال الدين (وزير بهوپال وصهر الأمير صديق حسن خان المؤلف الشهير) ، وقرأ على العالم الجليل بقية السلف المفتي عبد القيوم ابن الشيخ عبد

النحي البرهانوي الحديث والفقه ، ورحل للحج عام ١٢٨٥ هـ ، وأقام في الحجاز وقرأ على الشيخ محمد الخزرجي والسيد حسين والشيخ رحمة الله الهندي صاحب إظهار الحق ، وصحب الشيخ الجليل الشيخ عبد الغني المجددي في المدينة المنورة وبايعه ، ورجع الى وطنه ، وحدث بينه وبين علماء بلده مباحثات ومناظرات .

وعين طبيباً خاصاً في ولاية « جمون » منطقة كشمير الجنوبية ، وخدم أمراء جمون وبونجه وكشمير ، وكان يتمتع بنفوذ كبير لبراعته في الطب وفصاحته وعلمه وذكائه ، حتى وقعت بينه وبين أمير جمون وحشة ، وعزل عن الوظيفة عام ١٨٩٢ م[1] .

وفي زمن إقامته في جمون تعرف بالمرزا غلام أحمد القادياني الذي كان مقيماً في « سيالكوت » وتوثقت بينهما الصداقة ، ولما ألف المرزا « براهين أحمدية » ألف الحكيم كتاب « تصديق براهين أحمدية » وبايعه الحكيم وخضع له حتى قال لما أخبر بأن المرزا ادعى النبوة ، لو ادعى هذا الرجل أنه نبي صاحب شريعة ونسخ شريعة القرآن لما أنكرت

---

(١) التقطت هذه المعلومات من كتاب « مرقاة اليقين في حياة نور الدين » للشيخ اكبرشاه خان النجيب ابادي ضمن « احمدية انجمن اشاعت اسلام لاهور » ، والكتاب من املاء الحكيم نور الدين .

عليه[1] ، وألف الحكيم نور الدين باقتراح المرزا غلام أحمد كتاب « فصل الخطاب » في الرد على المسيحية في أربعة أجزاء[2] ، وانتقل إلى قاديان بعد اعتزاله عن الوظيفة عام ١٨٩٢ م ، وتدبر هناك وبويع بالخلافة على وفاة المرزا غلام أحمد عام ١٩٠٨ م ولقب بالخليفة الأول وخليفة المسيح الموعود نور الدين الأعظم ، وكان يتردد في تكفير من لا يؤمن بالمرزا كنبي ، ثم جزم بالتكفير[3] ، وثار حول خلافته نقاش[4] ، ولكنه لم يعتزل وبقي في خلافته ست سنوات ، وسقط من الفرس ، وجرح واعتقل لسانه قبل الوفاة بأيام[5] ، وكان قد استخلف المرزا بشير الدين محمود نجل المرزا غلام أحمد الأكبر ومات في ١٣ من مارس عام ١٩١٤ م[6] .

شخصيته وعقليته :

تدل قصة حياته على أنه كان قلق النفس ، ثائر الفكر ، عقلي النزعة ، تحرر في المذهب ورفض التقليد في بداية

---

(١) سيرة المهدي ص ٩٩ .

(٢) (مرقاة اليقين) ص ١٥٠ .

(٣) « كلمة الفصل » لبشير احمد القادياني .

(٤) « تشحيذ الأذهان » المجلد التاسع عدد ١١ نوفمبر ١٩١٤ م .

(٥) صحيفة الفضل المجلد التاسع عدد ٣٣٦٩ فبراير ١٩٢٢ م .

(٦) صحيفة پيغام صلح ، المجلد الرابع عدد ١١٤ .

أمره ، ثم تأثر بالمدرسة التي تدين بضرورة إخضاع الدين والعقيدة والقرآن للعلوم الطبيعية ونظرياتها التي دخلت - عن طريق الإنجليز - جديدة في الهند[1] ، وتأويل كل ما عارض - وبالأصح ظهر أنه يعارض - المقررات - وبالأصح المشهورات - الطبيعية في ذلك العصر ، ولو تعدى ذلك إلى التعسف وتحميل اللغة العربية ما لا تحتمله ، وجنح إلى تأويل المعجزات والحقائق الغيبية[2] .

وكان كبير الرغبة في المباحثات والمناظرات ، والمناظرات إذا لم يكن لصاحبها إيمان راسخ وشخصية دينية قوية ، ومدد روحي ، قد تجر إلى الإضطراب والتشكك والتأويلات البعيدة ، هذا مع صلاحيته للخضوع للشخصية الدينية والخضوع للإلهام والرؤى الغريبة ، وكثيراً ما يجتمع التقليد والإستسلام الروحي مع التنور وحرية الفكر ، وشخصية الإنسان شخصية مزدوجة تتركب من شخصيات مختلفة ، وأهداف الإنسان ودوافعه مما يعسر فهمها والاحتواء عليها .

---

(١) كان يتزعم هذه المدرسة في اواخر القرن التاسع عشر السيد احمد خان مؤسس كلية عليكره ، التي اصبحت بعد وفاته جامعة عليكره الإسلامية ، ومن كبار رجالها ومؤلفيها الأستاذ چراغ علي صاحب المؤلفات الشهيرة في الإنجليزية والاردية .

(٢) انظر نماذجه في تفسير تلميذه الأستاذ محمد علي اللاهوري ، واقرأ الفصل الخاص بالفرع اللاهوري في هذا الكتاب .

البَابُ الثَّانِي

تطوّر فكرة المرزا غلام أحمد

الفصل الأول

الرجل كمؤلف وداعية إسلامي

في ساحة التأليف والمناظرة :

لقد عرفنا المرزا غلام أحمد في ما سبق ، يعيش في قرية من قرى مديرية « كرداسبور » عاكفاً على مطالعة الكتب الدينية ، ويظهر من مؤلفاته التي ظهرت بعد عام ١٨٨٠ م أن معظم هذه الكتب كانت عن الملل والنحل وعن المسيحية والبرهمية والآرية[1] ، بصفة خاصة .

لقد كان هذا العصر عصر المناظرة بين الأديان والفرق كما قدمنا ، وقد نشط القسوس ورجال الكنيسة في نشر ديانتهم

---

(١) فرقة من الهنادك اسسها « ديانند سرسوتي » في القرن التاسع عشر المسيحي ، تمتاز بالحماسة الدينية والنشاط في الدعوة والمناظرة والرد على المسلمين ، وتدعو الى الأخذ بتعاليم ويدا ونصوصه ورفض البدع والمحدثات الداخلة في الديانة البرهمية ، وتقول بقدم العالم وقدم الروح والمادة .

والدعوة إليها والرد على الدين الإسلامي ، وكانوا يستمدون قوتهم وثقتهم من الدولة التي تدين بالمسيحية وتعتبر هذه البلاد جائزة من المسيح ، ونشط دعاة الآرية في الرد على الإسلام ؛ وكان من مصلحة الإنجليز - الذين اكتووا بنار ثورة عام ١٨٥٧ م التي كادت تقضي على مطامعهم - تشجيع هذه الدعوات والمجادلات ، لأنها تحدث الاضطراب الفكري والخلقي في البلاد والشعب ، وتشعر الناس بالحاجة إلى دولة قوية تحمي الجميع ، وكان كل من يقوم للدفاع عن العقيدة الإسلامية والرد على الديانات الأخرى مطمح أنظار المسلمين ومعقد آمالهم .

هيأ المرزا غلام أحمد نفسه للدخول في هذه المعركة التي تكسبه النصر والصيت البعيد ، وبدأ يؤلف كتاباً كبيراً في إثبات فضل الإسلام وإعجاز القرآن وإثبات نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم والرد على الديانات السائدة في الهند كالمسيحية والآرية والبرهمية والبرهموسماجية[1] ، وقد سمى هذا الكتاب « براهين أحمدية » .

كتاب « براهين أحمدية » والتحدي عليه :

بدأ تأليف هذا الكتاب من عام ١٨٧٩ م[2] ، وتكفل

---

(١) ديانة هندية جديدة ظهرت في القرن التاسع عشر تحاول الجمع بين تعاليم الإسلام والبرهمية وتقر التوحيد وتنكر النبوة والإلهام ، مؤسسها « راجه رام موهن راي » .

(٢) سيرة المهدي ج٢ ص ١٥١ .

المؤلف أن يجمع فيه ٣٠٠ دليل على صدق الإسلام ، وقد بلغ الكتاب إلى ثلاث مائة جزء (ملزمة تحتوي على ست عشرة صفحة[1] ، وكاتب بعض العلماء والباحثين والكتاب في موضوع الكتاب ، وطلب منهم أن يرسلوا إليه أفكارهم ومقالاتهم يستعين بها في تأليفه ، وكان منهم الأستاذ جراغ علي ، وجاءت منه مقالات وتوجيهات ضمنها الكتاب من غير أن يذكر مصدرها[2] .

ظهر الكتاب الموعود في أربعة أجزاء ، وفي ٥٦٢ صفحة بالقطع الكبير ، وأصدر المؤلف إعلاناً في الإنجليزية والأردية في عدد كبير وأرسله إلى الملوك والوزراء والقسوس وعلماء الهنادك ، وتحدى فيه وادعى - لأول مرة أنه مأمور من الله لإقامة حجة الإسلام ، ومستعد لإقناع الجميع ، وقد جاء فيه بصراحة : « لقد كلفني الله إصلاح الخلق بمسكنة وتواضع وفقر وتذلل على طريقة النبي الناصري الإسرائيلي (المسيح) ، وقد ألفت لهذا الغرض كتاب « براهين أحمدية » الذي ظهرت منه ٣٧ ملزمة ، وأنا مرسل نسخة من هذا الكتاب ، وقد بشرني الله أن كل من يقرأ هذه الرسالة الموجهة إليه ثم لا يقر بالحق يكتب له الهزيمة والخذلان » ، ودعا من

---

(١) براهين احمدية ج٢ ص ١ .

(٢) الدكتور عبد الحق في كتابه « جلدهم عصر » ص ٥٣ - ٥٥ .

طلب الحق أن يحضر إلى قاديان ويمكث معه سنة كاملة ويسرى الآيات السماوية والخوارق ، والذي لا يراها يستحق جائزة مائتي ربية[1] .

وتحدى أن يأتي أحد بمثل هذا الكتاب ويثبت صحة دينه بالدلائل التي تكافىء دلائله في هذا الكتاب أو تبلغ نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها ، والذي يقدم هذا الكتاب الذي يحكم له ثلاثة حكام عادلون ، يقدم له عشرة آلاف ربية[2] ، وطلب من المسلمين أن يتبرعوا بنشاط وحماسة لتكاليف طبع هذا الكتاب العظيم الذي هو انتصار للإسلام[3] ، ويظهر أن هذه الدعوة لم تلق ترحيباً كبيراً وتلبية متحمسة ، وأن الإجابة كانت فاترة ضعيفة ، وقد أبدى المؤلف تألمه من فتور الإجابة العملية[4] .

وقد تجلت في هذا الإعلان الذي هو كالتمهيد لهذا الكتاب وكالمقدمة لحياة روح التحدي والاذلال بالنفس ، والاسترسال في الدعاوى ، والاعتماد على الخوارق والآيات

---

(١) ترجمة المرزا لحراج النبي عمر القادياني في مقدمة كتاب « براهين أحمدية » الجزء الأول ص ٨٢ ، و٨٣ هـ .

(٢) « براهين احمدية » ص ١٨ - ٢٠ .

(٣) « براهين احمدية » الجزء الأول ب بقلم المرزا غلام أحمد .

(٤) براهين ج٣ ص ج

السماوية في إقناع الناس وإثبات الحق ، بجوار النزعة التجارية .

دعوة وسياسة :

وقد ضمن الجزء الثالث والرابع حث العلماء والجمعيات الإسلامية على إقناع الحكومة الإنجليزية ، بأن المسلمين أمة هادئة سلمية مخلصة للإنجليز ؛ وعلى الإعلان بحرمة الجهاد في بلاد الإنجليز ، وأن يترتب لذلك مذكرة تثبت عليها توقيعات العلماء وتقدم إلى الحكومة ، وجاء في هذا الاقتراح التغني بفضل الإنجليز على المسلمين ، وأن حكومتهم نعمة جسيمة من الله ورحمة ، وأنها هي الدولة الوحيدة التي تحصل فيها أهداف إسلامية لا تحصل في غيرها[1] ، وأعاد ذلك وكرره مرة بعد مرة ، وقد حرص على أن لا تخلو باكورة مؤلفاته من هذا التوجيه السياسي للمسلمين ، وخدمة بارة للحكومة الإنجليزية .

مصير الكتاب :

استمر صدور هذا الكتاب من عام ١٨٨٠ إلى عام ١٨٨٤ م ، وتوقف تأليفه بعد الجزء الرابع ، فلم يؤلف الجزء

---

(١) براهين ، الجزء الثالث ص١ .

الخامس - وهو الأخير - إلا عام ١٩٠٥ م[١] ، يعني بعد ٢٣ عاماً من بدء الكتاب كما اعترف به المؤلف نفسه في الجزء الخامس[٢] ، وقد مات كثير من الذين اشتروا الأجزاء الأربعة الأولى وسددوا بدل الاشتراك ، وبدأ الانكار والاستياء من الذين قدموا أثمانهم ، وقد اعتذر المؤلف في مقدمة الجزء الخامس عن ذلك ، وذكر أنه عدل عن عرض ثلاث مائة دليل على صدق الإسلام ، وذكر أنه كان عازماً على إصدار خمسين جزءاً من هذا الكتاب ولكنه سيقتصر على خمسة أجزاء ، ولما كان الفرق بين الخمسين والخمسة هو صفر واحد فقد انجز وعده باتمام خمسة أجزاء[٣] ، وقد ذكر نجل المؤلف المرزا بشير أحمد في كتابه « سيرة المهدي » ان الكتاب لم يشتمل إلا على دليل واحد فقط من ثلاث مائة دليل كان قد وعد بها ، وهذا الدليل الواحد لم يأت كاملاً كذلك[٤] .

نظرة في الكتاب :

إن من يقرأ هذا الكتاب يعترف لمؤلفه بسيلان القلم وطول النفس في الكتابة والمناقشة ، وكل ذلك يرشح مؤلفه

---

(١) سيرة المهدي ، ج٢ ، ص ١٥٤ .
(٢) « « ، ص ١ .
(٣) براهين ، ج٥ ص ٧ .
(٤) « سيرة المهدي » ج١ ص ١١٢ .

ليكون مناظراً قوي العارضة ـ وبالأصح كاتباً مكثراً ـ إزاء المسيحيين والآرية وباحثاً جدلياً ، ويرفعه إلى صف المناظرين البارعين المتشرين في الهند .

ولا يجد القارىء في هذا الكتاب الطويل الضخم ابتكاراً علمياً لم يسبق إليه المؤلف ، ويفوقه في الاطلاع على المصادر المسيحية وأسرارها ودقائقها والاقتدار على إفهام القسوس الكبار مولانا رحمة الله الكيرانوي (م١٣٠٩ هـ) صاحب « إظهار الحق » و« إزالة الأوهام » و« إزالة الشكوك » ، وفي حلاوة المنطق وطرافة الاستدلال في الرد على الآرية مولانا محمد قاسم النانوتوي (م١٢٩٧ هـ) صاحب « تقرير دل بذير » و« حجة الإسلام » و« آب حيات » .

الالهامات والتحديات في الكتاب :

ويدهش القارىء ويتخم بالالهامات والمنامات والخوارق والكشوف والتكليمات الالهية والنبوءات التي طفحت بها أجزاء هذا الكتاب ، والادعاءات والتحديات الطويلة العريضة التي تخرجه من كتب البحث العلمي النزيه ، والنقاش الديني الهادىء ، إلى كتب التحدي والادعاء السافرة التي تطغى عليها الأنانية وتمنع من الاستفادة منها والاقبال عليها .

لقد بنى المؤلف كتابه على أن الالهام لم ينقطع ولا ينبغي أن ينقطع ، وأن هذا الإلهام هو من أقوى الدلائل على صحة الدعوى وصدق الديانة والعقيدة ، وأن الذي يتم اتباعه للرسول صلى الله عليه وسلم يكرم بالعلم الظاهر والباطن الذي أكرم به الرسل أصالة ويحصل له العلم اليقيني والقطعي ، ويكون علمه اللدني مشابهاً بعلم الرسل ، وهم الذين ذكروا في الحديث بالأمثل ، وفي القرآن بالصديق ، ويكون عصر ظهورهم مشابهاً بعصر بعثة الأنبياء ، وبهم تقوم حجة الإسلام ويكون إلهامهم إلهاماً يقينياً قطعياً[1] .

ثم ذكر الشيء الكثير الملل من إلهاماته يطول نقله وتثقل قراءته على القارىء الأديب إلا أننا نقتصر على مثالين من هذه الإلهامات « الطريفة » .

يقـــول :

« لقد ألهمت آنفاً وأنا أعلق هذه الحاشية » ، وذلك في شهر مارس عام ١٨٨٢ م ما نصه حرفياً :

« يا أحمد ! بارك الله فيك ، ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، الرحمن علم القرآن ، لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم

---

(١) براهين أحمدية ج٣ ، ص ٢٣١ - ٢٣٤ باختصار .

ولتستبين سبيل المجرمين ، قل إني أمرت وأنا أول المؤمنين ، قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ، كل بركة من محمد صلى الله عليه وسلم ، فتبارك من علم وتعلم ، قل إن افتريته فعليّ إجرامي ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، لا مبدل لكلمات الله ، ظلموا أن الله على نصرهم لقدير ، إنا كفيناك المستهزئين ، يقولون أنى لك هذا أنى لك هذا ، إن هذا إلا قول البشر ، وأعانه عليه قوم آخرون . أفتأتون السحر وأنتم تبصرون . هيهات هيهات لما توعدون . من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ، جاهل أو مجنون . قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، هذا من رحمة ربك ، يتم نعمته عليك ليكون آية للمؤمنين . أنت على بينة من ربك ، فبشر وما أنت بنعمة ربك بمجنون . قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله[1] » (في عبارة طويلة) .

إلى أن يقول : « إني رافعك إليّ ، وألقيت عليك محبة مني ، لا إله إلا الله فاكتب وليطبع (كذا) وليرسل في الأرض . خذوا التوحيد التوحيد يا أبناء الفارس (كذا) ، وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، واتل عليهم ما أوحي إليك من ربك . ولا تصعر لخلق الله ، ولا تسئم من الناس ، أصحاب الصفة وما أدريك ما أصحاب الصفة ، ترى

---

(١) براهين ج٣ ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢ .

أعينهم تفيض من الدمع ، يصلون عليك ، ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان ، وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً . أملوا[1] » . اه .

ومن إلهام طويل في الجزء الرابع :

« إذ قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن يعلمون (كذا) ، ويحبون أن تدهنون (كذا) قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . قيل ارجعوا إلى الله فلا ترجعون ، وقيل استحوذوا فلا تستحوذون . أم تسئلهم من خرج فهم من مغرم مثقلون بل أتيناهم بالحق فهم للحق كارهون ، سبحانه وتعالى عما يصفون ، أحب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، ولا يخفى على الله خافية ، ولا يصلح شيء قبل إصلاحه ، ومن رد من مطمعه (كذا) فلا مرد له[2] » .

وقد نزل عليه إلهامان بالإنجليزية ، ذكرهما في الجزء الرابع ، من « براهين أحمدية[3] » .

---

(١) براهين ج٣ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٢ .

(٢) براهين ج٤ ، ص ٥١٩ .

(٣) براهين ج٤ ، ص ٥٥٤ - ٥٥٦ .

عقيدته في هذا الكتاب :

لقد اقتصر هذا الكتاب بأجزائه الأربعة ـ من الدعاوى الخاصة به ـ على استمرار الإلهام وبقاء وراثة الأنبياء في العلم اللدني وحصول نور اليقين والعلم القطعي ، وأنه مأمور من الله لإصلاح العالم والدعوة إلى الإسلام ومجدد لهذا الدين ، وأن له مماثلة للمسيح عليه السلام[1] ، وأقر فيه برفع المسيح عليه الصلاة والسلام إلى السماء ونزوله مرة ثانية[2] ، وأنكر الحاجة إلى نبوة جديدة ووحي جديد ، لأنه لا خطر على القرآن وتعاليمه من التحريف كويد والإنجيل لقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، ولا خطر على المسلمين من العود إلى الوثنية الجاهلية وعبادة المخلوق ، فقد قال « وما يبدىء الباطل وما يعيد » بل بالعكس قد أصبح المشركون في خطر من التوحيد الإسلامي ، وأصبحت الوثنية مهددة بالتعليم الإسلامي ، فلا حاجة إذن إلى شريعة جديدة وإلهام جديد ، وتحقق أن الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل[3] .

---

(١) سيرة المهدي ج١ ، ص ٣٩ .

(٢) اعترف به المرزا في كتابه « ضميمه كتاب نزول مسيح » المؤلف عام ١٩٠٢ ص ٦ ، وفي الجزء الخامس من براهين احمدية ص ٨٥ .

(٣) الجزء الثاني من براهين احمدية ص ١١٠ ـ ١١١ .

تأثير الكتاب ورد فعله :

يظهر أن هذا الكتاب قد جاء في أوانه ، وأن المؤلف كان بعيد النظر في إيثاره للموضوع الذي كان يشغل المسلمين ، وكانوا يجلون كل من ينهض له ويضطلع به وينظرون إليه كبطل من ابطال الإسلام ، وأنه أحسن الدعاية لهذا الكتاب ؛ وقد أحدث دوياً في الأوساط الإسلامية ، وكان التحدي من أكبر أنصار هذا الكتاب ، وكان في مقدمة المعجبين به والمثنين عليه زميله القديم في الدراسة الشيخ محمد حسين البتالوي من كبار علماء أهل الحديث في بنجاب ، فقد قرظه في شيء من الإطراء والمبالغة ، وفي شيء من الدهشة والاستغراب في مجلته « إشاعة السنة[1] » ، وقد أراد الله أن يكون الشيخ من كبار المناهضين له والمنكرين عليه بعدما ادعى أنه هو المسيح الموعود .

وقد توسم بعض العلماء أن مؤلف هذا الكتاب مدع النبوة ، ويذكر من هؤلاء الشيخ محمد والشيخ عبد العزيز ابنا الشيخ عبد القادر الذهيانوي ، وأنكر على هذه الالهامات واستبعدها جماعة من علماء أهل الحديث في أمرتسر[2] .

---

(١) المجلد السابع عام ١٨٨٤ عدد ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ .

(٢) مجلة « اشاعة السنة » المجلد السابع عدد ٦ ، يونيه ١٨٨٤ م .

لقد أخرجه هذا الكتاب وهذا الإعلان الصارخ من زاوية الخمول ومن العزلة التي كان يعيش فيها ، واتجهت إليه الأنظار والقلوب ، وعرفته البلاد ، كما قال نجله بشير أحمد في سيرة المهدي[1] ، ويقول المؤلف نفسه عن العصر الذي بدأ يؤلف فيه « براهين أحمدية » :

« لقد كنت في ذلك العصر رجلاً خاملاً ليس له معارض ولا موافق ، أعيش في زاوية الخمول . . . ، وكنت كميت مدفون في قبره من قرون ، ولا يعرف أحد لمن هذا القبر ومن هو المدفون فيه[2] » .

مناظرته للآرية :

وفي سنة ١٨٨٦ م السنة التي اعتكف فيها المرزا في هوشيار بورناظر « مرلى دهر » الأرياسماجي ، وألف كتاباً في حكاية هذه المناظرة التي وقعت في شهر مارس سنة ١٨٨٦ م أسماه « سرمه ء چشم آرية » وهو كتابه الثاني في المناظرة والرد على الديانة الآرية .

لقد كان موضوع البحث في المناظرة الأولى هي معجزة

---

(١) ص ١٠٤ .

(٢) تتمة حقيقة الوحي ص ٢٨ .

شق القمر وثبوتها عقلياً ونقلياً ، وقد دافع المؤلف عن هذه المعجزة وعن المعجزات دفاعاً قوياً ، وأثبت أن وقوع المعجزات والخوارق ممكن عقلاً ، وأنه ليس للعقل البشري القاصر والعلم الانساني المحدود ، والتجارب الفردية المحدودة أن تنكر وقوع المعجزات والخوارق في هذا العالم الفسيح ، ويلح مرة بعد مرة على ضيق علم الإنسان واتساع دائرة الإمكان[1] ، ويقرر أنه لا بد في الدين من الإيمان بالغيب ، وأنه لا يتنافى مع العقل لأنه غير محيط ، والكتاب من خير ما يرد به على بحثه نفسه في استحالة رفع المسيح وبقائه في السماء هذه القرون المتطاولة ونزوله ، وعلى اتجاهه - الذي يسيطر على كل ما كتبه متأخراً - إلى إنكار المعجزات والتعليل العقلي في مثل هذه الايات والغيبيات ، والشخصية التي تتجلى في هذا الكتاب تختلف عن الشخصية التي تجلت في ما بعد اختلافاً واضحاً .

اكتشاف خطير :

وبهذين الكتابين - اللذين كان لهما صدى في الأوساط الإسلامية وغير الإسلامية - عرف المرزا قيمته وجعل يشعر

---

(١) سرمه ، چشم آريه ص ٥٥٧ .

بخطره وتأثيره ، وامكانيات نجاحه ، ونشأ فيه اعتداد - وبالأصح اعتزاز - بنفسه ورأيه وإعجاب بشخصيته ومواهبه ، وكان ذلك نقطة تحول من الخمول إلى الظهور ، ومن التواضع إلى الكبرياء ومن مناظرة المسيحيين و « الأرثوذكسماجيس » إلى دعوة المسلمين ومناظرتهم وتحديهم .

وتودع هذه الشخصية وقد وقفت على نقطة التحول وعلى مفترق الطرق في هذا الفصل ، وقد تهيأت لأمر عظيم ومهدت له الطريق ، وتتحدث عن الشخصية الجديدة التي فاجأت العالم الإسلامي في الفصل القادم

الفصل الثاني

من التأليف والدعوة إلى دعوى "المسيح الموعود"

بين صديقين :

لقد علمنا في الفصول السابقة أن الحكيم نور الدين كان مقيماً في « جمون » بحكم وظيفته ، وكان طريقه إذا سافر من وطنه « بهيره » إلى « جمون » على سيالكوت ، البلد الذي أقام فيه المرزا غلام أحمد من عام ١٨٦٤ الى ١٨٦٨ م موظفاً في المحكمة ، ويلتقيان على الرغبة الجامحة في المناظرة وعلى الطموح ، فتعارفا وأعجب أحدهما بالآخر ، وتبدأ المراسلة بينهما من عام ١٨٨٥ م ونقرأ الرسالة الأولى للمرزا الموجهة إلى الحكيم في مجموع رسائله ، وقد أرخت باليوم الثامن من مارس سنة ١٨٨٥ م[1] .

---

(١) مكتوبات احمدية الجزء الخامس ص ١ .

وتتصل وتستمر هذه المراسلة ، وتتوثق بينهما الصداقة ، ويتبرع الحكيم نور الدين بسخاء لطبع كتبه ويستدين منه المرزا ويشكره على مساعداته المالية وتبرعاته السخية ، ويعترف له بالفضل والشهامة وترتفع من بينهما الحشمة والكلفة ، فيتكلمان في الشؤون المنزلية والأمور الشخصية[1] ، ويسافر المرزا لزيارته إلى كشمير في يناير سنة ١٨٨٨ م ، ويقيم عنده مدة شهر[2] ، ويكتب إليه المرزا ويطلب منه أن يؤلف كتاباً في الرد على « ليكهرام » الذي ألف كتاباً سماه « تكذيب براهين أحمدية » ، ولا يزال على اتصال وثيق به يخبره بإلهاماته ومناماته وعلومه الغريبة ويشكو إليه معارضة العلماء وتكفير بعضهم له ، ويذكر في كتاب له كتب في اليوم الخامس عشر من يوليه عام ١٨٩٠ م « أفهم أن الله سيبدي أمراً عظيماً[3] » .

اقتراح خطير :

وفي السنة ١٨٩١ م - وهي السنة التي تعتبر بحق الخط الفاصل ونقطة التحول في حياة القادياني وفي تاريخ القاديانية - في اليوم الرابع والعشرين من يناير يفاجئنا كتاب من المرزا رداً

---

(١) راجع مكتوبات احمدية الجزء الخامس

(٢) مكتوبات احمدية ، ج٥ ، ص ٥ .

(٣) مكتوبات احمدية ، ج٥ ، ص ٧٩ .

على رسالة الحكيم نور الدين ، يوضح لنا الفكرة القاديانية وكيف تطورت واختمرت ومن أين كان انبثاقها ، والى القارىء ما يتعلق بهذه النقطة في هذه الرسالة « الخالدة » :

« لقد تساءل الأستاذ الكريم : ما المانع من أن يدعى هذا العاجز[1] أنه مثيل للمسيح ، وينحى في جانب مصداق الحديث الذي جاء فيه أن المسيح ينزل في دمشق ، وأي ضرر في ذلك ؟ فليعلم الأستاذ الكريم أن العاجز ليست له حاجة إلى أن يكون مثيلاً للمسيح ، إن همه الوحيد أن يدخله الله في عباده المتواضعين المطيعين[2] » .

الفكرة واهميتها :

لقد عرف الحكيم نور الدين باطلاعه الواسع على المكتبة الدينية ودراسته للمجتمع الإسلامي الذي كان يعيش في آخر القرن التاسع عشر المسيحي أن عقيدة حياة المسيح ونزوله في آخر الزمان ، وأحاديث الفتن ـ التي لم يأت تأويلها بعد ـ هو المنفذ اللائق للتسرب إلى عقول المسلمين ، وأن الذي يتزعم هذا المنصب وينتحله ، ويظهر في مظهره يستطيع

---

(١) يعني المرزا نفسه .

(٢) مكتوبات احمدية ج٥ ص ٨٥ .

ان يؤسس سيادة روحية وإمارة دينية وسياسية بسهولة ، ويظهر من تاريخ ذلك العصر السياسي وما كتبه الإنجليز أن فكرة الجهاد كانت قد أقلقتهم وشغلت بالهم ، إن حركة المجاهد الشهير السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد كانت لا تزال ماثلة أمامهم ، إنهم رأوا كيف ألهب السيد وزملاؤه شعلة الجهاد والفداء وبثوا روح النخوة الإسلامية والحماسة الدينية في صدور المسلمين في الربع الأول من القرن التاسع عشر المسيحي ، وكيف التف حوله وحول دعاته آلاف من المسلمين عانت منهم الحكومة الإنجليزية مصاعب عظيمة[1] ، ورأت السيد محمد أحمد السوداني يقوم في السودان باسم الجهاد والمهدوية فكاد يقضي على الحكم الإنجليزي في السودان ، ثم رأت دعوة السيد جمال الدين الأفغاني تنتشر في العالم الإسلامي ، كل ذلك كان يعرفه الإنجليز . ويعرفون أن هذه الشرارة لا تزال كامنة في صدور المسلمين مستعدة للإلتهاب والإشتعال بأدنى مناسبة ، وكانوا يعرفون أن فكرة المهدي والمسيح ، الموعود قد تغلغلت في المجتمع الإسلامي ، فلا يستغرب إذا كان هذا المشروع من وحيهم وإيعازهم وإنهم أرادوا استغلال هذه العقيدة والفكرة ، وأياً كان المصدر الأول - الحكيم نور الدين أو الإنجليز - ومهما كانت الدوافع

---

(١) انظر كتاب المستشرق و . هنتر . Our Indian Musulmans

والمخريات ، فلا شك أن الحكيم نور الدين كان صاحب الإقتراح الأول في هذا المشروع ، وهنا تتميز الفكرة القاديانية عن الديانات السماوية والدعوات النبوية تميزاً واضحاً ، فإن الأنبياء والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ينزل عليهم الوحي من السماء ، ويمتلئون إيماناً وثقة برسالتهم ، ولا تنبثق عقيدتهم أو دعوتهم من اقتراح أو توجيه ، وتكون مقالتهم « وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » ،« وأنا أول المؤمنين » .

لقد اقترح الحكيم نور الدين على المرزا غلام أحمد ـ بعدما رقي القمة في « الروحانية » ، ونبيأ نه الجو وتمهد الطريق واشتهر ذكره في الآفاق ـ أن يظهر في مظهر المسيح ويدعي أنه هو المسيح الذي أخبر بنزوله ، وأصبح ذلك عقيدة إسلامية(١) ، وكثر الحديث عنه في المجتمع الإسلامي ، وقدر

---

(١) مما لا شك فيه ان عقيدة رفع المسيح ونزوله قبل القيامة من عقائد المسلمين التي دل عليها القرآن وتواترت بها الأحاديث والآثار ونقلها جيل بعد جيل وطبقة بعد طبقة ، وقد صرح ابن كثير بتواتر الأحاديث في نزوله ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري تواتر نزوله عليه السلام عن ابي الحسين الأبري . ومن شاء التفصيل فليراجع كتاب عقيدة الإسلام للعلامة انور شاه الكشميري .

وكما تواتر النص بالنزول كذلك انعقد الإجماع عليه من الأمة ، وانما خالفه الملاحدة والمتفلسفة كما في عقيدة السفاريني ، وقد نقل الأبي وغيره في شرح مسلم عن مالك في العتبية نصه بما يوافق التواتر والإجماع ، ونقل ابن حزم مصرح بتواتر النزول في كتابه الملل ، اما الناحية العقلية وامكان الرفع والنزول فمن آمن بأحاطة قدرة الله وآمن بصفات الله وافعاله لا يشك في امكانه ووقوعه بعد صحة -

الحكيم بحكمته أن المسلمين - بعدما تأثروا بدفاعه عن الإسلام واعتقدوا فيه الولاية لكثرة إلهاماته ومناماته ومبشراته - يرحبون به ويخضعون له .

المرزا يدعي انه مثيل للمسيح :

وكنا نجل المرزا على اعتذاره عن الظهور في المظهر الذي اقترحه الحكيم نور الدين وتواضعه وحيائه وحرصه على الخمول ، ولكننا نلاحظ بأن المرزا قد قبل هذا الاقتراح وبدأ يعلن ذلك في قوة وصراحة واستدلال ويدعو إليه ، فنطالع كتابه « فتح الإسلام » وهو أول كتاب ألفه ونشره بعد « براهين أحمدية » و « سرمه ء چشم آرية » و « شحنه ء حق » - وكل ذلك تجرد عن فكرة مثيل المسيح - وظهر في عام ١٨٩١ م السنة الفاصلة ، فنقرأ ادعاءه أنه مثيل المسيح لأول مرة ، وهنا ترجمة العبارة الحرفية :

« (أيها الناس) إذا كنتم أصحاب إيمان ودين فاحمدوا

---

* النقل وتواتره خصوصاً بعد تقدم العلوم الطبعية في الزمن الاخير وبالاخص في عصر الأقمار الصناعية مما وسع دائرة الإمكان ، وقد احسن العلامة ابو رشاه في ملاحظته إن المرزا غلام احمد يدعي النبوة ثم يتفلسف مع انه لا يعرف شيئاً عن الفلسفة والعلوم الطبعية وانما يردد ما سمعه من اتباعه انصاف المتعلمين ، فاذا عجز وقامت عليه الحجج العلمية التجأ إلى الإتهام فهو كاتهامه اذا قيل له طر استرق او استحمر ، واذا قيل له احمل استنسر .

الله واسجدوا لله شكراً ، إن العصر الذي قضى آباؤكم حياتهم في انتظاره ولم يدركوه ، وتشوفت إليه أرواح ولم تسعد به قد حل وأدركتموه وإليكم وحدكم أن تقدروا هذه النعمة وتتهزوا هذه الفرصة ، سأكرر ذلك ولا أفتأ أذكره أنني ذلك الرجل الذي أرسل لإصلاح الحق ليقيم هذا الدين في القلوب من جديد» .

لقد أرسلت كما أرسل الرجل (المسيح) بعد كليم الله (موسى) الذي رفعت روحه بعد تعذيب وإيذاء شديدين في عهد هيروديس ، فلما جاء الكليم الثاني (محمد صلى الله عليه وسلم) الذي هو أول كليم وسيد الأنبياء لقمع الفراعنة الآخرين ، الذي قال الله تعالى عنه « إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا » فكان لا بد أن يكون بعد هذا النبي الذي هو في تصرفاته مثل الكليم ولكنه أفضل منه ، من يرث قوة مثيل المسيح وطبعه وخاصيته ، ويكون نزوله في مدة تقارب المدة التي كانت بين الكليم الأول والمسيح بن مريم يعني في القرن الرابع عشر الهجري ، وقد نزل هذا المسيح وكان نزوله روحانياً[1] » .

وهذه العبارة مع غموضها وتعقدها ـ وأعتقد أن الكاتب قد تعمد ذلك ـ صريحة في عقيدته ودعوته الجديدة ، وأنه هو

---

(١) فتح الإسلام ، ص ٦ ـ ٧ .

مثيل المسيح ، إذن قد قبل المرزا اقتراح صديقه نور الدين وتقمص هذه الفكرة الجديدة ، وكتبه الثلاثة « فتح الإسلام » و« توضيح مرام » و« ازاله ء اوهام » وكتبه ظهرت في عام ١٨٩١ م[١] ، تدور حول هذا الموضوع وتبدأ وتعيد فيه ، ويقول في محل آخر من هذا الكتاب :

« إن لي شبهاً بفطرة المسيح ، وعلى أساس هذا الشبه الفطري أرسل هذا العاجز باسم المسيح ليدك العقيدة الصليبية ، فقد أرسلت لكسر الصليب وقتل الخنازير ، لقد نزلت من السماء مع الملائكة الذين كانوا عن يميني وعن شمالي[٢] » .

وافتتح كتابه « توضيح مرام » وهو صنو الكتاب الأول بعبارة صريحة سافرة بل صارخة ، وهذه ترجمتها حرفياً :

« إن المسلمين والنصارى يعتقدون باختلاف يسير أن المسيح ابن مريم قد رفع الى السماء بجسده العنصري ، وأنه سينزل من السماء في عصر من العصور ، وقد أثبت في كتابي يعني « فتح اسلام » أنها عقيدة خاطئة[٣] ، وقد شرحت أنه

---

(١) سيرة المهدي ، ج٢ ، ص ١٥١ .

(٢) فتح الإسلام ، ص ٩ .

(٣) اعترض عليه بأنه قرر نزول المسيح في كتابه « براهين احمدية » فاعتذر انه ذكر ذلك كعقيدة اسلامية مشهورة يؤمن بها اكثر المسلمين ، ولم يكن قد تلقى بعد إلهاماً في

ليس المراد من النزول هو نزول المسيح بل هو إعلام على طريق الاستعارة بقدوم مثيل المسيح ، وأن هذا العاجز هو مصداق هذا الخبر حسب الاعلام والالهام[٣] » .

المشاكل وحلولها :

ولا يزال نور الدين يلفته ويسترعي انتباهه إلى المشاكل العلمية التي تعترض السالك في هذا الطريق الوعر ويوحي إليه كيف يتغلب عليها ، وكيف يقنع المسلمين بانطباق صفة المسيح الموعود على المرزا غلام أحمد ، وهنا مثال طريف لهذه الحلول والتوجيهات .

تفسير دمشق :

لقد جاء في أحاديث النزول أن المسيح ينزل دمشق[١] ، فكيف التطبيق ، والمسافة بين دمشق وقاديان بعيدة ، والفرق بينهما واضح جلي ؟ ولعل المرزا نفسه لم يكن منتبهاً لهذه الصعوبة ، فنبهه نور الدين .

ذلك وارشاداً من الله ، فكان ذلك اتباعاً للآثار المروية قبل انكشاف الحقيقة (ازاله ، انعام ص ٩٧) ؛ ويقول في براهين أحمدية ج ٥ ، بقيت عيني مضبقة حتى فتحها الله ، ص ٨٥ .

(٣) توضيح مرام ، ص ٢ .

(١) توضيح مرام ، ص ٢ .

وندع الميرزا يتحدث بنفسه عن الحادثة ، ونسمعه يشرح كلمة دمشق التي جاءت في الأحاديث التي يؤسس عليها دعوته ودعواه ، يقول في كتابه « إزالة أوهام » :

« إن هذا العاجز لم يكن قد عني بالبحث في موضوع دمشق ومعناه بعد ، إذ زارني صديق لي ومحب مخلص الأستاذ نور الدين في قاديان ، وطلب مني أن أتوجه إلى الله تعالى في فهم معاني دمشق ، والكلمات المجملة التي وردت في روايات مسلم (بن الحجاج القشيري) ، وأن يكشفها الله علي ، ولما كنت مريضاً منحرف الصحة لا أتحمل العناء وإجهاد الفكر لم أستطع الالتفات إلى تحقيق هذه الأغراض كلها ولكن انكشف لي معنى كلمة واحدة وهي « دمشق » بما بذلته من عناء قليل »[1] .

« فليعلم الإخوان أن الله اطلعني - في ما يتصل بكلمة دمشق - على أن المسمى بهذا الاسم - دمشق - قرية يسكنها رجال طبيعتهم يزيدية ، وهم أتباع يزيد الخبيث (كذا في الأصل) في عاداته وافكاره ، الذين قلوبهم متجردة عن حب الله ورسوله ، وليس عندهم احترام للأحكام الإلهية ، الذين اتخذوا إلههم هواهم ، وانقادوا لنفوسهم الأمارة حتى هانت

---

(١) ازالة اوهام ص ٣٢ - ٣٣ .

عليهم إراقة دماء المقدسين الأزكياء ، الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وتعقد عليهم وجود الله تبارك وتعالى وأعياهم فهمه ، ولما كان من شأن الطبيب أن يأتي الى المرضى وجب أن يكون نزول المسيح في أمثال هؤلاء » .

« يدل نزول المسيح في دمشق دلالة واضحة على أن رجلاً يجمع بين مماثلته للمسيح ، ومشابهته بالحسين (بن علي رضي الله عنهما) سينزل لتعنيف اليزيديين الذين هم مماثلون لليهود ولإلزامهم الحجة »[1] .

« إن كلمة دمشق إنما استعملت استعارة »[2] .

ويقول في محل آخر :

«إن قرية قاديان مشابهة بدمشق ، فأنزلني الله لأمره العظيم في دمشق هذه بطرف شرقي عند المنارة البيضاء من المسجد الذي من دخله كان آمناً ، فتبارك الذي أنزلني في هذا المقام »[2] .

الرداءان الاصفران :

ويظهر المرزا في مظهر محام داهية جسور ألزم نفسه

---

(١) ايضاً ، ص ٣٣ - ٣٤

(٢) ص ٣٧ نفسه . (٢) ص ٦٨

الدفاع عن قضية واهية ضعيفة ، فهو لا يتوقى التنطع والتشقيق والتعسف والوقاحة - ومعذرتي من عنف هذه الكلمة - ليكسب قضيته ، ومن أمثلة هذا الدفاع والاحتجاج :

لقد اعترض عليه خصومه بأن أحاديث النزول التي يحتج بها ويؤسس عليه دعوته ودعواه أنه هو المسيح الموعود ، قد جاء فيها أن المسيح ينزل وعليه رداءان أصفران ، فقال :

« المراد بالرداء الأصفر العلة ، وقد جاء في الحديث أن المسيح ينزل وعليه رداءان أصفران وهذا شأني ، فانني أعاني علتين إحداهما في مقدم جسمي وهو الدوار الشديد الذي قد أخر به على الأرض ويضعف دوران الدم في القلب وأخاف به على نفسي . والعلة الثانية في أسفل الجسم وهي كثرة البول التي تسمى « الذيابطس » والذين يرفضونني يؤمنون بأن المسيح يحمل هذه الآية من السماء وهي علتان إحداهما في مقدم الجسم والأخرى في مؤخرته »[1] .

ويقول في محل آخر :

إنني أعاني علتين من مدة طويلة ، إحداهما الصداع الشديد الذي أعالج منه الشدة والكرب والأهوال الشديدة ، وقد

---

(١) براهين احمدية ص ٢١٩ .

زال وبقي الدوار الذي ينتابني بعض الأحيان ، وذلك لئلا يقع الخلل في نوعة الردائين الأصفرين ، والعلة الثانية مرض السكر الذي أعانيه منذ عشرين سنة »[1] .

المنارة الشرقية :

أما المنارة الشرقية التي أتعبته كثيراً فقد أراد أن يتغلب على مشكلتها ببناء منارة في شرقي قاديان ، وقرر ذلك في سنة ١٩٠٠ م كما في « سيرة المهدي »[2] وفتح الاكتتاب لذلك وحث على الاعانات[3] ووضع أساسها عام ١٩٠٣ م ، وتم هذا المشروع بعد وفاته في حياة نجله المرزا بشير الدين محمود .

حدة وتهكم :

ونراه في هذه الكتب الثلاثة « فتح إسلام » « توضيح مرام » و « إزالة أوهام » تعتريه حدة شديدة في مقارعة الخصوم والاحتجاج عليهم ، ويلجأ كثيراً إلى السخرية والاستهزاء ، فيسخر من عقيدة حياة المسيح ونزوله من السماء

---

(١) ج٢ ص ١٣٥

(٢) انظر ضميمة خطة إلهية ص ١ .

(٣) سيرة المهدي ، ج٢ ص ٣٣٨ .

ويتهكم لمن يؤمن بها من العلماء في أسلوب أقرب إلى أسلوب الدهماء المتنذرين منه إلى أسلوب العلماء الباحثين والدعاة المثقفين[1]. ويعتمد كعادته على الإلهامات والرؤى، ويستدل - شأن الباطنية - بحساب الجمل والأعداد[2]، ويسترسل في تأويل الآيات والنبوءات والكلمات الواردة في الأحاديث، ويعتبرها كلها مجازات واستعارات، ويحكي في ذلك الباطنية الأولين الذين كانوا يتطرفون في تأويل المصطلحات الدينية والكلمات الشرعية المتواتر لفظها ومعناها ومفاهيمها، ويتوصلون بذلك إلى فتح باب الإلحاد والفساد والتوصي على مصراعيه، والعبث بالدين وبعقول الناس، ويصرح بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم تتضح له حقيقة ابن مريم والدجال الكاملة، وقد ألقى الله عليه علماً إجمالياً في ذلك[3].

قبر المسيح في كشمير :

ولم يزل يجول ويبدأ ويعيد في موضوع وفاة المسيح حتى قرر أخيراً بأنه توفي في كشمير ودفن هنالك، وأتى في

---

(١) انظر ص ٢٠ - ٢١ من ازاله اوهام.

(٢) المنار، ص ٣٣٨.

(٣) ازاله اوهام، ص ٣٤٦

هذا البحث بالعجائب كعادته ، فقرر أن كشمير ينطق بها في اللغة الكشميرية « كشير » ويظهر أن هذه الكلمة في الأصل عبرية مركبة من الكاف التي للمماثلة والتشبيه ، و« أشير » التي معناها في العبرية الشام يعني مثل الشام ، ولما هاجر عيسى عليه السلام من فلسطين إلى كشمير - التي تشبه بلاد الشام كثيراً في طيب المناخ وبرودة الطقس - سماها الله تعالى كشمير تسلية لعيسى بن مريم وإدخال السرور عليه ، وسقطت الألف بكثرة الاستعمال وأصبحت كشمير[1] .

ثم قرر أن القبر المشهور بقبر يوذاسف في حارة خان يار هو قبر المسيح عليه السلام الذي هاجر إلى كشمير قبل ألفي سنة ، وكان يعرف بالنبي ابن الملك ، واستمر في تفصيل هذه النادرة وتطبيق اسم يوذاسف وقبره على المسيح عليه السلام في أسلوب خيالي يدل على براعته في التطرف وثقته ببساطة قرائه وإيمانهم بكل ما يقول[2] ، وقد جاء في رسالة وجهها إلى بلاد العرب وأنشأها بالعربية : « ثم مات ودفن في أرض قريبة من هذه الأقطار ، وقبره موجود في سري نكر الكشمير إلى هذا الزمان ، ومشهور بين العوام والخواص والأعيان ، ويزار ويتبرك به ، فاسئل أهلها العارفين إن كنت من المرتابين »[3] .

---

(١) براهين احمدية ، ص ٢٢٧ .

(٢) براهين احمدية ، ص ٢٢٨ .

(٣) الرسالة العربية ، ص ٢٢

وتترك المرزا في هذه المرحلة وقد حمل راية « المسيح الموعود » وهو يتهيأ لمنزلة أسمى من هذه المنزلة وهي منزلة النبوءة ، وقد بلدر بدورها في كتبه وهيأ لها الجو ، والتف حوله رجال يؤمنون بكل ما يصدر عن هذا الرجل ، ويصفقون له بحماسة وإخلاص .

الفصل الثالث

من المسيحية إلى النبوة فما فوقها

خطة مرسومة :

قلنا في نهاية الفصل السابق أن الميرزا قد بذر بذور « النبوءة » في كتبه وهيأ لها الجو ، والذي يطالع مؤلفاته من « براهين أحمدية » الى « إزاله ء أوهام » ـ وبينها مؤلفات ورسائل كثيرة ـ يشعر بأن الرجل كان بعيد النظر وكان لبقاً في إبداء فكرته ؛ وقد يشعر بأن الخطة كانت مرسومة من أول يوم ، وأنه كان يمشي خطوة خطوة ، وينتقل من مرحلة إلى مرحلة ، فتراه يتكلم عن الإلهام والعلم الباطني والعلم اليقيني كمنزلة طبيعية يصل إليها الإنسان بلزوم متابعة النبي صلى الله عليه وسلم والاضمحلال فيه ، ويتكلم عن صفات النبوءة وخصائصها ـ من غير أن يصرح بكلمة « النبوءة » و « النبي » الذي يجمع هذه الخصائص والصفات ـ وحصول ذلك لأفراد الأمة على طريق التبعية والوساطة ، ولم تكن النتيجة الطبيعية

لهذا المنطق ولهذه المقدمات إلا أن يدعي المرزا غلام أحمد النبوة ويصرح بها في يوم من الأيام ، ولعله كان يدرس الأحوال ويتأكد من وجود المحيط المناسب لهذه « الدعوى » الكبيرة التي تحدث الضجة العظيمة في المجتمع الإسلامي ، ويستوثق من وجود الإيمان الراسخ في قلوب أتباعه وتصديقهم لكل ما يقول .

اعلان وتصريح :

وقد حدث الحادث المرتقب عام ١٩٠٠ م ، فقد ألقى الشيخ عبد الكريم[1] خطبة الجمعة ، ذكر فيها أن المرزا غلام أحمد مرسل من الله ، والإيمان به واجب ، والذي يؤمن بالأنبياء ، ولا يؤمن به يفرق بين الرسل ، ويخالف قوله تعالى في وصف المؤمنين « لا نفرق بين أحد من رسله » .

أثارت هذه الخطبة نقاشاً بين الرجال الذين آمنوا بالمرزا كولي ومجدد ومهدي معهود ومسيح موعود ، وكانت مفاجأة لهم ألمت بعضهم وأدهشت الآخرين ، وكان في مقدمة المنكرين

---

(١) هو الذي يلي نور الدين في التقدم والاهمية ، وكان المرزا يقول انه ونور الدين جناحان يطير بهما ، كان خطيب الجمعة امام الصلوات وكاتب السر ، وكان شديد الحب للمرزا ، مات في مرض السرطان في حياة المرزا ولم يعد مع شدة حرصه على ذلك وحنينه (سيرة المهدي ج٢ ص ١٧١) .

الشيخ محمد أحسن الأمروهي[1] . فعاد المولوي عبد الكريم ، وألقى خطبة أخرى في هذا المعنى في الجمعة الثانية والتفت إلى المرزا وقال له : « أنا أعتقد أنك نبي ورسول ، فإن كنت مخطئاً نبهني على ذلك » ، ولما انتهوا من الصلاة وهمّ المرزا بالانصراف أمسك المولوي عبد الكريم بذيله وطلب منه الحكم ، فأقبل إليه المرزا وقال : « هذا الذي أدين به وأدعيه » وأفلت ذلك الشيخ محمد أحسن ، وجعل يناقش المولوي عبد الكريم وارتفع صوتهما ، فخرج المرزا من بيته وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي »[2] .

وتدع المرزا بشير الدين محمود نجل المرزا الأكبر يشرح هذا الانتقال « من المسيحية إلى النبوءة » الذي قد أصبح طبيعياً ، وجاء في أوانه بعد هذه التمهيدات والمقدمات التي عنيناها في الفصول السابقة ، وصاحب البيت أدرى بما فيه ، يقول في كتابه « حقيقة النبوءة » :

---

(١) كان من كبار أتباع المرزا غلام أحمد والمدافعين عنه ، كان موظفاً في بهوبال وعزل وبايع المرزا ، وحث المرزا اتباعه على جمع الاعانات له ، وخالف المرزا بشير الدين في بعض عقائده وفارصه .

(٢) محاضرة السيد سرور شاه القادياني صحيفة الفضل القاديانية عدد ٥٦ مجلد ١٠ يناير ١٩٢٣م .

« وبالجملة كان سيدنا المسيح الموعود يعتقد في بداية الأمر أن كلمة النبي تطلق على رجل يأتي بشريعة جديدة أو ينسخ بعض الأحكام أو يكون نبياً بلا واسطة ، لذلك كان ـ رغم أن جميع الشروط التي تشترط للنبي كانت موفورة فيه ـ يأبى أن يتسمى بالنبي ، ومع أنه كان يدعي جميع الخصال التي يتصف بها الإنسان بالنبوءة ولكنه لاعتقاده أنها شروط المحدث لا شروط النبي كان يسمي نفسه المحدث ، ولم يكن يشعر أنه يصف نفسه بصفات لا توجد في غير الأنبياء ثم ينكر النبوءة ، ولكن لما فطن أن وصفه لنفسه وكيفية دعواه لا تنطبق على المحدثية ، إنما تنطبق على النبوءة ، أعلن نبوءته في صراحة »[1] .

وسواء كان يمتنع من ادعاء النبوءة ـ في صراحة ووضوح ـ لاعتقاده أن النبوءة تستلزم الإتيان بشريعة جديدة ونسخ بعض الاحكام السابقة ، وأن تكون مباشرة من غير واسطة حتى ألهمه الله الصواب وشرح صدره لادعاء النبوءة أو أمر بذلك من الله ـ على حد تعبيره ، أو كان يمتنع عن ذلك لأن الوقت لم يحن بعد ، والزرع لم ينضج ولم يبلغ الحصاد ، فلا شك أنه وصل بعد قطع هذه المراحل إلى النتيجة الطبيعية اللازمة .

---

(١) حقيقة النبوءة ص ١٢٤ .

تصريحات وتحديات :

ومن عام ١٩٠١ م - كما يقول المرزا بشير الدين محمود - استقر الأمر على ذلك وبدأ يصرح به في مؤلفاته[١] والرسائل التي أصدرها باسم « الأربعين » ، - وكان قد وعد قراءه أنها ستبلغ أربعين رسالة ، ثم عدل عن الفكرة واقتصر على الأربعة « تأسياً بالله تعالى في إبدال خمسين صلاة بخمس »[٢] طافحة بالتحديات السافرة والاعلانات الصارخة عن منصبه الجديد .

وازداد صراحة وتحدياً في الأعوام المقبلة ، وقد ألف رسالة عام ١٩٠٢[٣] أسماها « تحفة الندوة » وجهها إلى اعضاء ندوة العلماء ، قال في الصفحة الأولى منها وهي بالعربية ، ومعذرتي إلى إخواني العرب من هذه العربية الهندية التي حاول فيها المؤلف - في عبث - أن يقلد الحريري أو يحكي الصحف السماوية :

« أيها الناس ، عندي شهادة من الله فهل أنتم تؤمنون . أيها الناس عندي شهادات من الله فهل أنتم تسلمون . وإن

---

(١) حقيقة النبوة ص ١٢٤ .

(٢) الأربعين ، رقم ٤ ص ١٤ .

(٣) سيرة المهدي ج٢ ص ١٥٣

تعدوا شهادات الله لا تحصوها، فاتقوا الله أيها المستعجلون. أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون . إنا نصرنا من ربنا ولا تنصرون من الله أيها الخائنون . أقتلتموني بفتاوى القتل أو دعاوى رفعتموها إلى الحكام ثم لا تندمون ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ، ولن تعجزوا الله أيها المحاربون[1] » .

ويقول في هذه الرسالة في لغة صريحة مكشوفة وأسلوب سافر « فكما ذكرت مراراً أن هذا الكلام الذي أتلوه هو كلام الله بطريق القطع واليقين كالقرآن والتوراة ، وأنا نبي ظلي[2] وبروزي[3] من أنبياء الله ، وتجب على كل مسلم إطاعتي في الأمور الدينية[4] ويجب على كل مسلم أن يؤمن بأني المسيح الموعود ، وكل من بلغته دعوتي فلم يحكمني ، ولم يؤمن بأني المسيح الموعود ، ولم يؤمن بأن الوحي الذي ينزل عليّ من الله ، هو مسؤول ومحاسب في السماء وإن كان مسلماً ، لأنه قد رفض الأمر الذي وجب عليه قبوله في وقته ، إنني لا أقتصر

---

(١) تحفة الندوة .

(٢) وشرحه المرزا بقوله « أنا مرآة انعكست فيها الصورة المحمدية والنبوة المحمدية بتمامها » « نزول المسيح ص ٣ »

(٣) وشرحه المرزا بقوله « انعكست الكمالات المحمدية كلها مع النبوة المحمدية في أصل البروز في مرآة ظلي . « ايك غلطي كا ازاله » .

(٤) لئلا يتصادم مع طاعة الحكومة الإنجليزية . « الدزائف » .

على قولي أن لو كنت كاذباً لهلكت ، بل أضيف إلى ذلك أنني صادق كموسى وعيسى وداؤد ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أنزل الله لتصديقي آيات سماوية تربو على عشرة آلاف ، وقد شهد لي القرآن ، وشهد لي الرسول وقد عين الأنبياء زمان بعثتي وذلك هو عصرنا هذا ، والقرآن يعين عصري ، وقد شهدت لي السماء والأرض وما من نبي إلا وقد شهد لي[1] »

وقال في كتاب « حقيقة الوحي » :

لقد حرم الدين سبقوني من الأولياء والأبدال والأقطاب من هذه الأمة المحمدية النصيب الكبير من هذه النعمة (يعني الإلهامات والمكالمة الإلهية) ولذلك خصني الله باسم النبي ، أما الآخرون فلا يستحقون هذا الاسم[2] » .

وكتبه بعد ذلك طافحة بمثل هذه العبارات والتحديات ، ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فليقرأ كتاب « حقيقة الوحي » للمرزا غلام أحمد ، و « حقيقة النبوءة » لنجله والخليفة الثاني المرزا بشير الدين محمود .

نبوءة مستقلة :

وقد جاء في مؤلفاته ما يدل على أنه كان مقتنعاً بأنه نبي

---

(١) تحفة الندوة ص ٤ .

(٢) حقيقة الوحي ص ٩ .

مستقل صاحب شريعة وأمر ونهي . فقد ذكر في كتاب «الأربعين» أن النبي التشريعي هو الذي يشتمل وحيه على أمر ونهي ، وإن كان هذا الأمر والنهي قد تقدما في كتاب نبي سابق ولا يشترط لنبي صاحب شريعة أن يأتي بأحكام جديدة[1] .

ثم يطبق ذلك على نفسه ويقول : إن وحيي يشتمل على الأمر والنهي ، مثلاً ألهمت من الله « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى[2] لهم » ؛ وذكرت ذلك في براهين « أحمدية » وقد اشتملت هذه الآية على أمر ونهي ، ومضى على ذلك ثلاث وعشرون سنة واستمر الوحي وفيه الأوامر والنواهي ، فان قال قائل : إن المراد بالشريعة الشريعة التي تشتمل على أحكام جديدة ، انتقض هذا القول ، لأن الله يقول : « إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى[3] » .

ونسخة لنجهاد الذي شرعه الله وأمر به الرسول وإلغاؤه لذلك بكل صراحة وقوة دليل على أنه كان يعتقد أنه نبي صاحب شريعة وأمر ونهي يستطيع أن ينسخ شريعة القرآن ، ويستلزم

---

(١) حقيقة الوحي ص ٩ .
(٢) رقم ٤ ص ٦
(٣) الأربعين ، رقم ٤ ص ٦ .

ذلك التشريع المستقل ، بل يعتقد ويعلن « أن الروضة الانسانية كانت لا تزال ناقصة وقد تمت بأوراقها وأثمارها بقدومه[1] » .

تكفير من لا يؤمن بهذه النبوءة :

وكانت نتيجة دعوى النبوءة الطبيعية والمنطقية تكفير جميع من لا يؤمن بهذه النبوءة الجديدة ، وقد قال في الجزء الخامس من براهين أحمدية : « ستؤسس جماعة وينفخ الله الصور بفمه لتأييدها ، وينجذب إلى هذا الصوت كل سعيد ولا يبقى إلا الأشقياء الذين حقت عليهم الضلالة وخلقوا ليملأوا جهنم[2] » .

وقد جاء في إلهام له نشره في اليوم الخامس والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٠٠ م : « الذي لا يتبعك ولا يدخل في بيعتك ويبقى مخالفاً لك عاص لله ولرسوله وجهنمي[3] » .

وقال في ما نقله الدكتور عبد الحكيم : « إن الله كشف علي أن كل من بلغته دعوتي ولم يقبلني ليس بمسلم[4] » .

---

(١) براهين أحمدية ، ج٥ ص ١١٣ .

(٢) نفس ٨٢ .

(٣) معيار الأخيار ص ٨

(٤) صحيفة الفضل ، القاديانية ، ١٥ يناير ١٩٣٥ م

بذلك تدين الديانة القاديانية الرسمية (التي يتزعمها المرزا بشير الدين محمود ابن المؤسس) ، يقول في كتابه « آئينه ء صداقت » إن كل مسلم لم يدخل في بيعة المسيح الموعود سواء سمع باسمه أو لم يسمع كافر وخارج من دائرة الإسلام[1] » . وبذلك صرح أمام المحكمة ، وتصريحاتهم في ذلك أكثر من أن تحصى ، وعلى هذا الأساس يعاملون المسلمين في باكستان ، فلا يصاهرونهم[2] ولا يصلون خلفهم[3] ولا يصلون على أمواتهم[4] . ويعتقدون أن الحج الذي أدي قبل القاديانية حج باطل[5] وهذه كلها نتائج النبوة الجديدة وطبيعتها .

التناسخ والحلول :

وفي عبارات المرزا ما يدل على عقيدة التناسخ والحلول ، وعلى أن الأنبياء كانت تتناسخ أرواحهم ويتقمص روح بعضهم وحقيقتهم جسد بعضهم وتظهر في مظهر الآخر ، وقد جاء في « ترياق القلوب » :

---

(١) ص ٣٥

(٢) كتاب بركات خلافت ، ص ٧٣ و ٧٥ .

(٣) قد نهى عن ذلك غلام احمد نفسه ، « الأربعين » رقم ٣ ص ٣٤ .

(٤) وقد صفعه سر ظفر الله خان بكل دعة حتى لم يصل على السير محمد علي جناح مؤسس باكستان .

(٥) « الحكم » القاديانية ، مجلد ٣٧ عدد ١٦ ، ٧ مايو ١٩٣٤ .

« إن مراتب الوجود دائرة ، وقد ولد إبراهيم بعادته وفطرته ومشابهته القلبية ، بعد وفاته بنحو ألفي سنة وخمسين في بيت عبد الله بن عبد المطلب وسمي بمحمد صلى الله عليه وسلم[1] .

ويقول في كتاب آخر : « وتحل الحقيقة المحمدية وتتجلى في متبع كامل . . . وقد مضى مئات من الأفراد تحققت فيهم الحقيقة المحمدية ، وكانوا يسمون عند الله عن طريق الظل محمداً وأحمد[2] .

ويقول : « إن الله أرسل رجلاً كان أنموذجاً لروحانية عيسى وقد ظهر في مظهره وسمي المسيح الموعود ، لأن الحقيقة العيسوية قد حلت فيه ، ومعنى ذلك أن الحقيقة العيسوية قد تجلت به[3] » .

بعثتان للنبي :

ويعتقد ويعلن أن للنبي صلى الله عليه وسلم بعثتين ، يقول في « الخطبة الإلهامية » :

---

(١) ص ١٥٥ .
(٢) آئينه كمالات اسلام ، ص ٣٤٦ .
(٣) المصدر ص ٣٤٤ .

« واعلم أن نبينا صلى الله عليه وسلم كما بعث في الألف الخامس كذلك بعث في آخر الألف السادس باتحاد بروز المسيح الموعود[1] . إلى أن يقول : « بل الحق أن روحانيته عليه السلام كان في آخر الألف السادس - أعني في هذه الأيام - أشد وأقوى وأكمل من تلك الأعوام بل كالبدر التام ، ولذلك لا نحتاج إلى الحسام ولا إلى حزب من المحاربين[2] .

التفوق على الأنبياء :

ولم يقتصر لمرزا على التنبؤ بل جاء في كتبه وكلامه ما يشعر بتفوقه على أكثر الأنبياء وجمعه لما تفرق في أنبياء كثيرين . وقد جاء في الجزء الخامس من « براهين أحمدية » :

« لقد أعطيت نصيباً من جميع الحوادث والصفات التي كانت لجميع الأنبياء سواء كانوا من بني اسرائيل أو من بني اسماعيل ، وما من نبي إلا أوتيت قسطاً من أحواله أو حوادثه[3] » ويقول : « لقد أراد الله أن يتمثل جميع الأنبياء والمرسلين في شخص رجل واحد وإنني ذلك الرجل[4] » .

---

(١) ص ١٨٠ .
(٢) ص ١٨١ - ١٨٢
(٣) ص ٨٩ .
(٤) المصدر ص ٩٠ .

بل قد جاء في كلامه ما يصرح بتفوقه على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه يعتقد أن روحانية النبي صلى الله عليه وسلم إنما تجلت في عصره بصفات إجمالية ، ولم تكن الروحانيات قد بلغت غايتها وأوجها بعد ذلك « العهد القاصر » بل كانت الخطوة الأولى في سبيل ارتقائها وكمالها ، تجلت هذه الروحانية في القرن العشرين في شخص غلام أحمد في أبهى حلتها وأرقى مظاهرها ، وهنا نص عبارته ، بعربيته التي يسميها « الخطبة الإلهامية » .

« فكذلك طلعت روحانية نبينا صلى الله عليه وسلم في الألف الخامس[1] باجمال صفاتها ، وما كان ذلك الزمان منتهى ترقياتها ، بل كانت قدماً أولى لمعارج كمالاتها ، ثم كملت وتجلت تلك الروحانية في آخر الألف السادس أعني في هذا الحين ، كما خلق آدم في آخر اليوم السادس بإذن الله أحسن الخالقين ، وتتخذت روحانية نبينا خير الرسل مظهراً من أمته لتبلغ كمال ظهورها وغلبة نورها ، كما كان وعد الله في الكتاب المبين ، فأنا ذلك المظهر الموعود والنور المعهود[2] .

---

(١) عمر الدنيا عندهم سبعة آلاف سنة والقرن السادس المسيحي الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم من الألف الخامس والقرن الحادي عشر أو العشرون الذي هو عصر المسيح غلام احمد هو من الألف السادس .

(٢) الخطبة الإلهامية ، ص ١٧٧ ، ١٧٨

ويتشد متطاولاً على النبي صلى الله عليه وسلم :

له خسف القمر المنير ، وإن لي
غسا القمران المشرقان ، أتنكر ؟[1]

وقد جاء في منحق حقيقة الوحي « وآتاني ما لم يؤت أحداً من العالمين »[2] .

لقد كان هذا أساساً صالحاً يرفع عليه الخلفاء بناءاً شامخاً ـ شأن الطوائف والنحل ـ ويصبح كثير منهم يفضلونه على أكثر الأنبياء بصراحة وما تخفي صدورهم أكبر ، فقد جاء في « حقيقة النبوءة » للمرزا بشير الدين محمود الخليفة الثاني : إن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل[3] « وفي صحيفة الفضل ، إنه كان أفضل من كثير من الأنبياء ويجوز أن يكون أفضل من جميع الأنبياء »[4] .

تطرفاته :

وازداد المرزا تطرفاً في الدعاوى ، فادعى أنه عين محمد

---

(١) اعجاز احمدي ص ٧١ .
(٢) ص ٨٧ .
(٣) ص ٣٥٣ .
(٤) المجلد الرابع عشر عدد ٢٩٦ ابريل سنة ١٩٢٧ م

صلى الله عليه وسلم[1] . ومن أقواله المأثورة : « من فرق بيني وبين المصطفى فما عرفني وما رأى »[2] .

وادعى أنه مظهر لكرشن وأنه برز فيه وتجلى ، ومما ادعى أنه ألهمه الله : « أنت مني بمنزلة ولدي »[3] وخاطبه الله مرة بقوله : « إسمع ولدي »[4] ، « يا قمر يا شمس ، أنت مني وأنا منك »[5] ، « أنت مني وأنا منك ، ظهورك ظهوري[6] ، « أنت من مائنا وهم من فشل »[7] ، « يحمدك الله من عرشه ويمشي إليك »[8] .

ولقد اقتصرنا على الإلهامات التي نزلت بالعربية حتى لا نتهم بالتقصير أو الخيانة في الترجمة . ومنها إلهامات يخجل القلم عن سطرها ويتلعثم اللسان في ذكرها من عزو ما يخص الجنسين ـ الذكر والأنثى ـ إلى الله تعالى . وقد ذكر أن الله أراد أن يوقع مرة على صحيفة فنضح الحبر الأحمر من القلم وبقي أثره على قميص المرزا[9] .

---

(١) نزول المسيح ص ٣ على الهامش .
(٢) الخطبة الإلهامية ص ١٧١ .
(٣) حقيقة الوحي ، ص ٨٦ .
(٤) البشرى ، المجلد الأول ، ص ٤٩ .
(٥) حقيقة الوحي ص ٧٤ .
(٦) التذكرة ص ٦٥١ .
(٧) انجام آتهم ص ٥٥ .
(٨) انجام آتهم ص ٥٥ .
(٩) ترياق القلوب ص ٣٣ وحقيقة الوحي ص ٢٥٥ .

الباب الثالث

القاديانی فی المیزان

الفصل الأول

حياته ومعيشته

في فجر الحياة :

لقد بدأ المرزا غلام أحمد حياته في شظف من العيش وبؤس وفقر لا يطمع في جنيه شهرياً . ولا يهمه بعد وفاة أبيه إلا خبزه ومائدته ، كما صرح بنفسه[1] . لا يلفت نظراً ولا يسترعي انتباهاً ، يعيش في الخمول والفقر خمساً وعشرين سنة[2] ، كأنه دفين مجهول في قبر مجهول[3] ، حتى ظهر كمؤلف ومدافع عن الإسلام ، ثم كداعية وزعيم روحي ، ثم في مظهر « المسيح الموعود » ثم في المظهر الأخير الذي تحدثنا عنه في الفصول السابقة . فدوت له البلاد وطنت حصاته وأقبلت عليه

---

(١) نزول المسيح ، ص ١١٨ .

(٢) براهين احمدية ، ج٥ ، ص ٥٩ .

(٣) تتمة حقيقة الوحي ، ص ٢٨ .

الدنيا وانهالت عليه الهدايا ، وأغدقت عليه الأموال . وكان كل ذلك - كما لا يخفى - عن طريق الدين والزعامة الدينية وبعاطفة دينية ، ومن جيوب الفقراء وأوساط الناس . فما كان موقفه إزاء هذه الفتوح وهذه الأموال ، وكيف كان بعد ما أقبلت الدنيا عليه ؟

أسوة الدعاة ورجال الدين في الاسلام :

لقد رأينا الدعاة المخلصين وعباد الله الصالحين من أتباع الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في كل قرن من قرون الإسلام وفي كل دور من أدوار تاريخ الدعوة والجهاد ، لم يزدهم إقبال الدنيا عليهم إلا زهادة وفقراً وإيثاراً للآخرة . وكان شعارهم في حياتهم مقالة نبيهم صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة »[1] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « ما لي وللدنيا ، وما أنا والدنيا ، إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها »[2] . ومنهم من لم تمل به الدنيا عن الزهد والقناعة والتقشف في الحياة ، ولم تستهوه غنائم القارتين إفريقيا وآسيا ، وخزائن الامبراطورين كسرى وقيصر ، « يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته ، كان

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه احمد والترمذي .

والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب »[1] . ويتجمل التاريخ الانساني بأخبار زهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وتقشف صلاح الدين الأيوبي ، وناصر الدين محمود ، واورنك زيب عالمكير من الملوك الكبار فضلاً عن زهاد هذه الأمة . وقد كان في عصر المرزا غلام أحمد ـ العصر الأخير ـ من الدعاة والعلماء والشيوخ من تأتيه الأموال الطائلة والهدايا الكثيرة فيقسمها على الفقراء والمساكين ويجتزىء بطعام جشب أو خبز قفار . ومنهم من لا يطيق النوم إذا كان في بيته فضل من مال أو بقية من ذهب وفضة . وأسماؤهم أكثر من أن تحصى وأخبارهم أعظم من أن تستقصى[2] .

من دلائل النبوءة :

وكانت هذه الحياة الزاهدة وكانت هذه الاستقامة ووحدة الحياة في الفقر والغنى ، والضعف والقوة برهاناً على صدق النبوة المحمدية عند المرزا غلام أحمد نفسه ، يقول في « براهين أحمدية » :

---

(١) من وصف امير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه « صفة الصفوة » لابن الجوزي .

(٢) اقرأ الجزء الثامن من نزهة الخواطر للسيد عبد الحي الحسني طبع دائرة المعارف حيدر آباد .

« ولما انتصر الإسلام بعد مدة مديدة وكان الإسلام في إقبال وتقدم ، لم يقتن رسول الله مالاً ولم يدخر كنزاً ، ولم يرفع بناءاً ولم يشيد قصراً ، ولم يحل إلى ترف أو بذخ ، ولم ينتفع بما آتاه الله من مال أو جاه ، بل أنفق كل ما جاءه على اليتامى والمساكين والأيامى والمديونين وما شبع من طعام قط »[1] .

صاحب دعوة أو زعيم سياسي ؟ :

ونرجع ونحن نحمل هذا المصباح الذي أعطانا المرزا نفسه وندخل في حياته بعد انتشار دعوته ونفاذ كلمته فنرى فرقاً واسعاً بين حياته الأولى وبين حياته الأخرة ، ونراه أشبه بالزعماء السياسيين منهم بأصحاب الدعوة الدينية ، فضلاً عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلاميذه ، فضلاً عن الأنبياء والمرسلين حتى يثير ذلك نقاشاً بين صفوة أصحابه وتلاميذ دعوته .

الحياة المنزلية :

هذا هو الخواجه كمال الدين الداعية الإسلامي المشهور الذي عرفته أوروبا يشكو بثه وحزنه إلى صديقه الأستاذ محمد

---

(١) ج١ ص ١١٧ .

علي اللاهوري أمير الجماعة الأحمدية اللاهورية والشيخ سرور شاه القادياني وهم في رحلة :

« كنا نحث نساءنا وبناتنا على اقتداء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونسائه في الزهد والقناعة ، فإنهم كانوا يلبسون الخشن ويأكلون الجشب ويوفرون من أموالهم ما كانوا ينفقونه في مصالح المسلمين . وكنا بهذه المواعظ والتحريضات نقتطع من أموالنا ما نرسله إلى قاديان ، ولكن لما سافرت أزواجنا وبناتنا إلى قاديان ، وبقين هناك مدة يرين كيف تعيش السيدات هناك ، ثم رن علينا وكذبنا ، وقلن : لقد رأينا كيف يعيش النبي وأصحابه وزوجاته في قاديان ، إن النعيم الذي يعيشون فيه ، وإن البذخ الذي يسود هناك لا تتمتع به ولا يبلغ عيشنا معشاره ، مع أن أموالنا من كسب أيدينا وما يأتيهم من المال هو للأمة وللأغراض الاجتماعية ، وأنتم خدعتمونا وكذبتم علينا ، ولكنا لا ننخدع بعد اليوم . وقد منعن المال الذي كن يعطين إياه لترسله إلى قاديان »[1] .

وذكر الخواجه كمال الدين بعض القماش الذي اشتراه المرزا لزوجه وبناته[2] .

---

(١) كشف الاختلاف لشيخ سرور شاه القادياني ص ١٣ .

(٢) أيضا .

واعترض الدكتور عبد الحكيم - وهو قادياني يومئذ - على تصرفات الميرزا الحرة في أموال المسلمين ، وذكر أنه يكتتب ويجمع الإعانات لطبع الكتب ويستحصل الأموال من أتباعه بأنواع من الحيل وينفقها كيف يشاء[1] .

حياة مترفة :

وقال الخواجه كمال الدين مرة لمحمد علي « إن من الظلم المبين أن هذ المال الذي يكتسبه فقراء المسلمين بكد اليمين وعرق الجبين ويشحون به على نفوسهم وبطونهم لينفق في المصلحة الإجتماعية يضيع في الشهوات والأغراض »[2] .

جاءت الميرزا في اليوم الأخير من حياته ، رسالة من الأستاذ محمد علي « مترجم القرآن بالإنجليزية - يسأل فيها عن المال الكبير الذي يحتى ولا ينفق منه على الضيوف والمطبخ العام إلا القليل ، فغضب الميرزا وقال : إنهم يرمونني بأكل السحت وأكل أموال المسلمين ما لهم ولهذه الأموال فاني اذ

---

(١) الدين الحكيم المكتور عبد الحكيم ص ٣ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٥ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٨٣ ، ١٤

(٢) كشف الاختلاف ص ١٥

اعتزلت انقطعت هذه الأموال وتوقفت الاعانات[1] .

وقال الخواجه كمال الدين لمحمد علي مرة : « ان حضرة المرزا يحثنا على التوفير والانفاق في سبيل الدعوة وهو يعيش في بذخ وترف » فقال له محمد علي : انني لا استطيع أن أنكر هذا ولكن لا يلزمه أن نتبع النبي في بشريته[2] .

الحياة في مركز الدعوة « الربوة » :

واذا كان هذا في حياة مؤسس الدعوة ، فما ظنك بعدها ؟ لقد أصبحت « قاديان » وخليفتها « الربوة » امارة روحية مادية مستقلة يجتمع فيه الاستبداد والاستهتار ، والقساوة والدعارة . يعيش فيها « الخليفة » وحاشيته عيش الملوك والاباطرة في العهد القديم والباباوات في القرون الوسطى المسيحية . وتصبح هذه الإمارة الروحية - التي تأسست على دعوة دينية وزعامة روحية مأخورة واسعة تتحكم فيها الدكتاتورية الدينية والشهوانية العاتية وتشبه قلعة « الموت » في عهد الحسن الصباح الإسماعيلي . اكتب هذه السطور في لاهور وأنا أسمع كل يوم الروايات التي تشبه أساطير ألف ليلة وليلة

---

(١) رسالة المرزا بشير الدين محمود إلى الحكيم نور الدين في كتاب حقيقة الاختلاف ص ٥٠ .

(٢) ايضا .

والقصص التي يندى لها الجبين حياء ويحار العقل في تصديقها وهي من الثقات الذين لا يشك في صدقهم وعدلهم ، وقد أصبحت خبراً مشاعاً وحديث النوادي[٢] ويكفي القارىء أن يقرأ كلمة الأستاذ عبد الرحمن المصري[٣] مدير كلية تعليم الإسلام في قاديان من كبار علماء الجماعة القاديانية التي سجلها قاضي محكمة الاستئناف في لاهور المستر اسكامب (W.SCAMP) في حكمه الذي أصدره في يوم ٢٣ من سبتمبر ١٩٣٨ م :

« ان الخليفة الحالي المرزا بشير الدين محمود من كبار الفساق ، انه يتصيد الفتيات في ستر من الزعامة الدينية ، وله وكلاء وسماسرة من الرجال والنساء يحضرون له الفتيات الغافلات والشباب الغر وقد أسس لهذا الغرض ناديا سرياً ، من أعضائه الرجال والنساء يفسق فيه » .

---

(١) ومن أراد التوسع في ذلك فعليه بكتاب (عصر حاجز كامذهبي آمر) (دكتاتور العصر الحاضر الديني) .

(٢) اسلم هذا الرجل على يد بعض القاديانيين ونشأ في حضانتهم وتعلم في مصر وحاز ثقة جماعة حتى كان يستخلفه المرزا بشير الدين في امامة الصلوات ثم اطلع على اسرار هؤلاء الماسونيين فثار عليهم وألف لجنة من الثوار كان رئيسها .

الفصل الثاني

مظاهرة الحكومة الانجليزية والغاء الجهاد

الدور الذي مثلته بريطانيا والإنجليز في الشرق :

غزت أوروبا الشرق الإسلامي في القرن التاسع عشر وبسطت سلطتها على الأقطار الإسلامية وكان في مقدمتها « بريطانيا العظمى » التي تولت كبر هذا الزحف والهجوم السياسي والمادي واستولت على الهند ومصر وعاكست الدولة العثمانية وتآمرت عليها وقعدت لها بالمرصاد ، تساعد منافساتها من الدول ، وتحرض عليها ، وبدأت تتسرب في الجزيرة العربية وتبذر فيها بذور الفساد .

هذا وقد أصبحت مسيطرة على الهند الإسلامية وأصبحت الحكومة المغولية التيمورية - وهي الدولة المسلمة الأخيرة - أسيرة أو رهينة في يدها ، تتصرف في ممتلكاتها تصرف السلطان الحر . وقاومها الملك الشهم الأبي السلطان

تيبو فسقط في المعركة شهيداً عام ١٧٩٩ م وانبث القسوس والرهبان في الهند يدعون المسلمين - بصفة خاصة - إلى المسيحية ويسخرون من الدين الإسلامي ومبادئه وتعاليمه . وانتشر الفساد والخلاعة ، وغزت الحضارة الأوروبية بيوت المسلمين وبدا الإلحاد ، وثار المسلمون - ومعهم المواطنون الأحرار - على الإنجليز عام ١٨٥٧ م وانضم إلى هذا المعسكر كل من في قلبه ذرة من إيمان أو جمرة من غيرة . وانتصر الإنجليز - بدهائهم وحسن نظامهم وقوة عزمهم - فانتقموا من أهل البلاد ومن المسلمين خاصة إنتقاماً شديداً وكانوا مصداق قوله تعالى « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » . ولم يكن الإنجليز طغاة ظالمين وملوكاً مستبدين فحسب بل كانوا رسل الفساد والإلحاد والخلاعة والإباحة وكانوا حملة لواء الاستعمار والاستهتار والثورة على القيم الروحية والخلقية التي جاء بها الأنبياء ونزلت بها الصحف ، وكانوا مغيرين على العالم الإسلامي وزعماء الاستعمار الأوروبي السياسي والثقافي والخلقي .

سيرة الأنبياء وخلفائهم :

لقد عرفنا من سيرة الأنبياء وخلفائهم أنهم كانوا دائماً حرباً على الظالمين والمجرمين ، بعيدين عن تأييدهم ومساعدتهم . وقد قال موسى عليه السلام : « رب بما أنعمت

عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين » ، ودعا على فرعون عصره ومصره بقوله : « ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » . وقال تعالى مخاطباً المؤمنين : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » وأسوة النبي صلى الله عليه وأصحابه وخلفائه ـ من العلماء الربانيين والدعاة المخلصين ـ معلومة مسجلة في التاريخ ، والحديث يطول .

دعوة الى تأييد الإنجليز والغاء الجهاد :

ولكن بالعكس من وصايا القرآن الواضحة وروح الدين الإسلامي ، وبالعكس من أسوة الأنبياء والمرسلين ، وأصحابهم وخلفائهم الصادقين ، ويضد آية « إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا » التي يطبقها المرزا على نفسه ، نرى المرزا غلام أحمد ـ الذي يدعي أنه مأمور من الله ومرسل من عنده ـ يمدح أكبر فراعنة عصره ـ الإنجليز ـ ويحرص على تأييد الحكومة الغاشمة الظالمة التي اغتصبت المملكة الإسلامية وأغارت على العالم الإسلامي وحملت راية الفساد والإلحاد وصادرت الأوقاف

الإسلامية وقتلت الأبرياء والصفوة المختارة من العلماء ، نراه يحرص على تأييد هذه الحكومة ويتملقها في أسلوب سافر يترفع عنه كل صاحب ضمير ومبدأ فضلاً عن الدعاة ، فضلاً عن خلفاء الأنبياء ، فضلاً عن الأنبياء أنفسهم ، ونراه يعنى بهذا الموضوع في يقظة ودقة من مبدأ أمره . فنراه في مؤلفه الأول « براهين أحمدية » يعد حسنات هذه الحكومة ومننها ، ويحث الجمعيات الإسلامية على ترتيب وثيقة يوقع عليها العلماء ورجال الدين ويفتون بإلغاء الجهاد ، وتقدم هذه الوثيقة إلى الحكومة . ثم نراه لا يضيع فرصة ولا مناسبة لفتاء العاطر على هذه الحكومة ولا ينسى ـ مع أنه كثير النسيان والغفلة ـ قضية الجهاد وجوب نسخه وإلغائه ونشر ذلك في الهند وفي الأقطار الإسلامية .

خدمات المرزا في تأييد الحكومة الإنجليزية :

وإلى القارىء بعض الأمثلة من هذه المكتبة الواسعة في موضوع تأييد الحكومة الإنجليزية وإلغاء الجهاد ـ الذي كان المسلمون في حاجة ملحة إلى إحيائه والدعوة إليه ليتحرروا من نير الحكم الأجنبي ويتخلصوا من هذا السرطان الإنجليزي الذي امتد في جسم العالم الإسلامي ، يقول في كتابه « ترياق القلوب » ص ١٥ :

« لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية ونصرتها وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر « الإنجليز » من الكتب والاعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة . وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا ، وكان هدفي دائماً أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة وتمحى من قلوبهم قصص المهدي السفاك والمسيح السفاح والأحكام التي تبعث فيهم عاطفة الجهاد وتفسد قلوب الحمقى » .

وقال في آخر كتابه « شهادة القرآن » إن عقيدتي التي أكررها أن للإسلام جزئين : الجزء الأول إطاعة الله والجزء الثاني إطاعة الحكومة التي بسطت الأمن وآوتنا في ظلها من الظالمين ، وهي الحكومة البريطانية »[1] .

ويقول في رسالة قدمها إلى نائب حاكم المقاطعة عام ١٨٩٨ م : « لقد ظللت منذ حداثة سني وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها ، وألغي فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة ، وأرى أن كتاباتي قد أثرت في

---

(١) ملحق شهادة القرآن .

قلوب المسلمين وأحدثت تحولاً في مئات آلاف منهم »[1] .

وقال في محل آخر :

« لقد ألفت عشرات من الكتب العربية والفارسية والأردية أثبتُّ فيها أنه لا يحل الجهاد اصلاً ضد الحكومة الإنجليزية التي أحسنت إلينا ، بل بالعكس من ذلك يجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة بكل إخلاص ، وقد انفقت على طبع هذه الكتب اموالاً كبيرة وأرسلتها إلى البلاد الإسلامية ، وأنا عارف أن هذه الكتب قد أثرت تأثيراً عظيماً في أهل هذه البلاد (الهند) ، وقد تكوّن اتباعي جماعة تنبض قلوبهم إخلاصاً لهذه الحكومة والنصح لها ، إنهم على جانب عظيم من الإخلاص ، وأنا أعتقد أنهم بركة لهذه البلاد ومخلصون لهذه الحكومة ومتفانون في خدمتها »[2] .

ويقول في محل آخر : « لقد نشرت خمسين ألف كتاب ورسالة وإعلان في هذه البلاد وفي البلاد الإسلامية ، تفيد أن الحكومة الإنجليزية صاحبة الفضل والمنة على المسلمين ، فيجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة إطاعة صادقة ، وقد ألفت هذه الكتب في اللغات الاردية والعربية والفارسية

---

(١) تلميع رسالات المجلد السابع ص ١٥ ، تأليف قاسم علي القادياني .

(٢) من رسالة مقدمة الى الحكومة الإنجليزية بقلم المرزا غلام أحمد .

وأذعنها في أقطار العالم الإسلامي حتى وصلت وذاعت في البلدين المقدسين مكة والمدينة وفي الآستانة وبلاد الشام ومصر وافغانستان . وكان نتيجة ذلك أن أقلع ألوف من الناس عن فكرة الجهاد التي كانت من وحي العلماء الجامدين . وهذه مأثرة أتباهى بها ، يعجز المسلمون في الهند أن ينافسوني فيها »[1] .

وربما يخامر القارىء الشك في دقة الترجمة العربية لأن النصوص في الاردية مع أن الكاتب قد تحرى الاتقان والتدقيق والترجمة الحرفية ، فلنتقدم نصوصاً عربية بحرفها ولفظها يقول في كتابه « نور الحق » :

« ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنا من خدامها ونصائحها ودوامي خيرها من قديم وجئناها في كل وقت بقلب صميم وكان لأبي عندها زلفى وخطاب التحسين ، ولنا لدى هذه الدولة أيادي الخدمة » .

« ولا نظن أن تنسها (كذا) في حين وكان والدي الميرزا غلام مرتضى ابن الميرزا عطا محمد القادياني من نصحاء الدولة وذوي الخلة وعندها من أرباب القربة وكان يصدر على تكرمة العزة وكانت الدولة تعرفه غاية المعرفة وما كنا قط من

---

(١) سفارة قيصره تأليف الميرزا غلام أحمد .

ذوي الظنة بل ثبت إخلاصنا في أعين الناس كلهم وانكشف على الحاكمين ، وتستطلع الدولة حكامها الذين جاءونا وليثوا بيننا ، كيف عشنا أمام أعينهم وكيف سبقنا في كل خدمة مع السابقين »[1] .

حرز للدولة وحصن لها :

ويزداد صراحة ويعد خدماته السياسية الغالية للحكومة الإنجليزية ووقعها وتأثيرها فيقول في نفس هذا الكتاب :

« وما كان تأليفي في العربية إلا بمثل هذه الأغراض العظيمة ولم يخل تنتاب العربيين كتبي حتى رأيت فيهم آثار التأثير وجاءني بعض منهم وراسلني بعض وبعضهم هجنوا وبعضهم صلحوا وواقفوا كالمسترشدين . وإني صرفت زماناً طويلاً في هذه الامدادات حتى مضت عليّ احدى عشرة سنة في شغل الإشاعات ، وما كنت من القاصرين . فلي أن أدعي التفرد في هذه الخدمات ولي أن أقول إنني وحيد في هذه التأييدات ولي أن أقول إني حرز لها وحصن حافظ من الآفات ، وبشرني ربي وقال ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، فليس للدولة نظيري ومثيلي في نصري وعوني وستعلم الدولة أن كان

---

(١) نور الحق ص ٣٧ و ٣٨ .

من المتوسمين »[1] .

وأعتقد أن في هذا بلاغاً ومقنعاً ، ونختم هذا الفصل بكلمتين أخريين تلقيان الضوء على نيابته وأهدافه وصلته بالحكومة الإنجليزية . يقول في رسالة قدمها إلى نائب حاكم المقاطعة الإنجليزي في اليوم الرابع والعشرين من فبراير سنة ١٨٩٨ م .

من غرس الإنجليز :

« والمأمول من الحكومة أن تعامل هذه الأسرة التي هي من غرس الإنجليز أنفسهم ومن صنائعهم بكل حزم واحتياط وتحقيق ورعاية وتوصي رجال حكومتها أن تعاملني وجماعتي بعطف خاص ورعاية فائقة »[2] .

علة الحدة في مناظرة القسوس :

ويقول في تعليل حدة قد تعتريه في الرد على بعض القسوس : « لقد غلا بعض القسوس والمبشرين في كتاباتهم وجاوزوا حد الاعتدال ووقعوا في عرض رسول الله صلى الله

---

(١) نور الحق ص ٣٣ و ٣٤ .

(٢) تبليغ رسالت المجلد السابع ص ١٩ - ٢٥

عليه وسلم ، وخفت على المسلمين الذين يعرفون بحماستهم الدينية أن يكون لها رد فعل عنيف وأن تثور ثائرتهم على الحكومة الإنجليزية . ورأيت من المصلحة أن أقابل هذا الاعتداء بالاعتداء حتى تهدأ ثورة المسلمين وكان كذلك »[1] .

تحريم الجهاد في هذا العصر :

أما الجهاد ـ الذي أقلق الإنجليز وشغل خاطرهم ـ فأفتى بكل صراحة وقوة بحرمته في عصره ، وكتبه وكتاباته طافحة بذلك والقليل من هذا الكثير أنه قال في كتابه « الأربعين » :

« لقد ألغي الجهاد في عصر المسيح الموعود إلغاءاً باتاً » . وقال في « الخطبة الإلهامية » : لقد آن أن تفتح أبواب السماء وقد عطل الجهاد في الأرض وتوقفت الحروب ، كما جاء في الأحاديث أن الجهاد للدين يحرم في عصر المسيح ، فيحرم الجهاد من هذا اليوم وكل من يرفع السيف للدين ويقتل الكفار باسم الغزو والجهاد يكون عاصياً لله ولرسوله » . ويقول في ترياق القلوب : « إن الفرقة الإسلامية التي قلدني الله إمامتها وسيادتها تمتاز بأنها لا ترى الجهاد بالسيف ولا تنتظره بل

---

(١) ترياق القلوب ص ٤٣١٠

إن الفرقة المباركة لا تستحل سراً كان أو علانية وتحرمه تحريماً باتاً »(١) .

في سبيل الإنجليز :

وقد أمدت هذه الحركة وهذه الفئة الحكومة الإنجليزية بخير جواسيس لمصالحها وأصدقاء أوفياء ومنطوعين متحمسين كانوا موضع ثقة الحكومة الإنجليزية ومن خيار رجالها ، خدموا الحكومة الإنجليزية في الهند وخارج الهند وبذلوا نفوسهم ودماءهم في سبيلها بسخاء ، كعبد اللطيف القادياني الذي كان في افغانستان يدعو إلى القاديانية وينكر على الجهاد وخافت حكومة افغانستان أن تقضي دعوته على عاطفة الجهاد وروح الحرية التي يمتاز بها الشعب الأفغاني ، فقتلته . كذلك الملا عبد الحليم والملا نور علي القاديانيان عثرت الحكومة الأفغانية عندهما على رسائل ووثائق تدل على أنهما وكيلان للحكومة الإنجليزية وأنهما يديران مؤامرة ضد الحكومة الأفغانية . وكان جزاؤهما القتل كما صرح بذلك وزير داخلية أفغانستان سنة ١٩٢٥ م . ونقلت ذلك « الفضل » صحيفة القاديانيين الرسمية بسرور وإعجاب في ٣ مارس من ذلك العام .

---

(١) ترياق القلوب ص ٣٣٢ .

موقف القاديانية ازاء العالم الإسلامي :

وبقيت الجماعة القاديانية في عهد مؤسسها وبعده معتزلة عن جميع الحركات الوطنية وحركة التحرير والجلاء في الهند صامتة بل شامتة لما دهم العالم الإسلامي من رزايا ونكبات على يد المستعمرين الأوروبيين ، وعلى رأسهم الإنجليز مقتصرة على إثارة المناقشات الدينية والمباحثات حول موت المسيح وحياته ونزوله ونبوة المرزا غلام أحمد ، لا اتصال لها بالحياة العامة والمسائل الإسلامية والحركات التي كانت مظهراً للغيرة الإسلامية والشعور السياسي في هذه البلاد دائمة على الإخلاص للحكومة الإنجليزية ، حريصة على خدمة مصالحها السياسية ، حتى اعتقد كثير من المفكرين والدارسين أن هذه الدعوة كانت من وحي الإنجليز ووليد السياسة الإنجليزية وغرسها ، ولذلك كان الدكتور محمد إقبال مصيباً في رأيه عن المرزا غلام أحمد وجماعته في شعره الساثر « إنه يتحدث عن مقام الأولياء والعظماء وإنما كان مريداً مخلصاً للسادة الانجليز ، إنه يعتقد ان بهاء الإسلام ومجده في حياة العبودية وأن سعادة المسلمين في أن لا يزالوا محكومين ، أذلاء ، انه كان يعد حكومة الأجانب رحمة إلهية ، لقد رقص الرجل حول الكنيسة ومضى لسبيله .

الفصل الثالث

البذاءة والاقذاع

من اخلاق الأنبياء وخلفائهم عفة اللسان

الذي استفاض وتواتر من أخلاق الأنبياء وخلفائهم والتابعين لهم باحسان عفة اللسان وطهارة القول وشدة الاحتمال والصبر على الأذى . وقد قال الصحابة رضي الله عنهم : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق[1] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذيء[2] وذكر عن عيسى بن مريم ـ صلوات الله عليه ـ أنه كان لايمر بملأ من بني

---

(١) رواه الترمذي .
(٢) ايضاً .

إسرائيل إلا أسمعوه شراً وأسمعهم خيراً ، فقال له شمعون الصفا : ما رأيت كاليوم كلما أسمعوك شراً أسمعتهم خيراً . فقال : كل امرىء ينفق بما عنده . والأخبار والآثار في ذلك أكثر من أن تحصى والمطلع على كتب السيرة والتاريخ يعلم ذلك بداهة واضطراراً .

سلاطة اللسان وبذاءة القول في حياة القادياني :

أما المرزا فكان سليطاً طويل اللسان هجاءاً مقذعاً للمخالفين والعلماء المعاصرين وعباد الله الصالحين ، وكان مصداق صفة المنافق التي جاءت في الأحاديث الصحاح « وإذا خاصم فجر »[1] .

أمثلة من الهجاء والبذاء :

ولما كان الهجاء والتعريض والتهكم تصعب ترجمته إلى لغة أخرى ، وإنه من أدق الأساليب اللغوية ، آثرنا أن ننقل هنا

---

(١) تمام الحديث ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، اذا اؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر . متفق عليه .

شيئاً يسيراً من كتاباته ورسائله العربية على ركاكة عبارتها وتكلفها .

يقول في رسالة وجهها إلى علماء الهند وشيوخها الكبار :

« نعب علينا كل ذي غواية ، ونعق علينا كل ابن داية محروم عن درايه ، وعوى كل خليع خليع الرسن ، ونبح كل كلب ولو كان كاليمن ، فاذا قمنا كانوا مديد الوسن أو كانوا من الميتين :

لما رأى النوكى خلاصته انضرى فروا وولوا الدبر كالمتشور
إن يشتموا فلقد نزعت ثيابهم وتركتهم كالميت المتنكر[1] »

وسمى جماعة هي الصفوة المختارة في الهند في عصره علماً وصلاحاً واستقامة ، وأعلامها ، وما ذنبهم إلا أنهم خالفوه وردوا عليه . يقول مخاطباً للشيخ محمد حسن البتالوي :

« فمنهم شيخك الضال الكاذب نذير المبشرين ثم الدهلوي عبد الحق رئيس المتصلفين ، ثم عبد الله التونكي ثم أحمد علي السهارنبوري من المقلدين ثم سلطان المتكبرين الذي أضاع دينه بالكبر والتوهين[2] ، ثم الحسن الأمر وهي الذي

---

(١) ملحق بكتاب انجام أتهم ص ١٥٨ .

(٢) يريد الإهانة .

أقبل على إقبال من لبس الصفاقة وخلع الصداقة واعتلقت أظفاره بعرضي كالذئاب ومخلبه بثوبي كالكلاب ، ونطق بكلم لا ينطق بمثلها إلا شيطان لعين ، وأخرهم الشيطان الأعمى والغول الأغوى يقال له رشيد الجنجوهي[1] وهو شقي كالأمر وهي ومن الملعونين »[2] .

ويقول عن مخالفيه عامة : « تلك كتب ينظر إليها كل مسلم بعين المحبة والمودة وينتفع من معارفها ويقبلني ويصدق دعوتي إلا ذرية البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يقبلون »[3] .

أما الشعر الهجائي فقد برز فيه الاقذاع على حطيئة وابن الرومي إلا أنهما من الطبقة الأولى في البلاغة والأدب وهو ركيك الأسلوب ضعيف العربية كثير الأخطاء واللحن[4] ومن أمثلة هذا الشعر الهجائي :

إن العدى صاروا خنازير الفلا نساؤهم من دونهم الاكلب[5]

---

(١) انظر تراجم هؤلاء الأعلام في الجزء الثامن من نزهة الخواطر حتى تعرف مقدار جرأته ووقوعه في عرض العلماء الربانيين واولياء الله المقبولين .

(٢) المكتوب العربي ملحق بكتاب انجام أنهم ، ص ٢٥٢ .

(٣) آئينه كمالات اسلام : ص ٥٤٧ ، ٥٤٨ .

(٤) راجع مكتوبه العربي الطويل في آخر كتابه انجام انهم ، ونور الحق .

(٥) نجم الهدى ، ص ١٥ .

ويقول عن العالم الكبير والشيخ الجليل مهر علي الكولروي الجشتي رحمه الله :

فقلت لك الويلات يا أرض جولر
لعنت بملعون فأنت تدمر[1]

ويقول عن الشيخ سعد الله اللدهيانوي وقد رد عليه :

ومن اللئام أرى رجيلاً فاسقاً غولاً لعياً نطفة السفهاء
شكس خبيث مفسد ومزور نحس يسمى السعد في الجهلاء
آذيتني خبثاً فلست بصادق إن لم تمت بالخزي يا ابن بغاء

واعتقد أن هذه النماذج تكفي لتصوير شخصيته ونفسيته ، ويستطيع الإنسان أن يحكم هل رزق هذا الرجل نصيباً من أخلاق أتباع الأنبياء والأشراف من الناس فضلاً عن الأنبياء أنفسهم - صلوات الله وتحياته عليهم - وهل تتفق هذه السيرة مع المنصب الذي كان يتظاهر به ويدعيه ؟

---

(١) اعجاز احمدي ، ص ٧٥ .

الفصل الرابع

نبوءة لم تتحقق

قصة طريفة :

لقد أكثرنا في هذا الكتاب من الإلهامات وأخيراً أوردنا أمثلة من الهجاء المقذع والكلام البذيء . لعل القارىء استثقل ذلك ودخلت عليه السآمة والملل ، فلنقص عليه - ونحن في آخر الكتاب - قصة طريفة لولا أنها قصة داع وزعيم ديني ولولا أنها نبوءة تحدى عليها العالم ، لكانت رواية غرامية تكون موضوع كتاب قصصي أو تمثيل .

خطبة لفتاة :

في سنة ١٨٨٨ م أخبر المرزا غلام أحمد أن الله أمره أن يخطب فتاة اسمها « محمدي بيكم » بنت المرزا أحمد بيك (وهو ابن خاله) فان قبل والدها ذلك استحق الرحمة من الله

والبركات العظيمة ، وإن رفض ساءت عاقبة الفتاة ، وإن زوّجها أبوها بشاب آخر مات هذا الشاب خلال عامين ونصف وأبوها خلال ثلاث سنوات ، وحل بهذه الأسرة ضيق وشدة وافتراق[1] واعلن ذلك على رؤوس الأشهاد وطبع هذا الاعلان ووزعه في الناس ، وعبر ذلك ـ كما في « آئينه كمالات إسلام » ـ بالوحي النازل عليه[2] .

وقال : « قد أنبأني الله أن كريمة المرزا أحمد بيك الكبرى (محمدي بيكم) ستدخل في زواجك وأن أهلها سيعادونك ويمنعونها منك ويجهدون أن لا يتحقق ذلك ، ولكن الله سيحقق وعده ويمنحها لك بكراً كانت أو ثيباً ويزيل العراقيل وينجز هذا العمل ، ولا رادّ لما قضى الله »[3] .

نبوءة وتحد :

وكان بين سن الفتاة المخطوبة وسن المرزا تفاوت عظيم ، فقد قال : « هذه المخطوبة جارية حديثة السن عذراء وكنت حينئذ جاوزت الخمسين »[4] .

---

(١) اعلان المرزا غلام احمد ، من يوليو عام ١٨٨٨ .

(٢) ص ٥٥٢ .

(٣) ازالة اوهام ص ٣٩٦ .

(٤) انتهى بلفظه ، آئينه كمالات اسلام ، ص ٥٧٤

لم يكن لنا شأن بهذه القضية ، فانها قضية شخصية ومنزلية . كثيراً ما يخطب الناس البنات ويرغبون في زواجهن وقد ينجحون وقد لا ينجحون ؛ ولكنها نبوءة وقد قال المرزا في بعض مؤلفاته « فليعلم المنكرون أنه ليس هنالك محك امتحاننا وميزان صدقنا وكذبنا أعظم من النبوءات »[1] وقد قال في محل آخر « إن النبوءات التي تعرض على المخالفين كالدعاوى ويتحدى عليها تكون مشرقة وبديهية ويتوجه الملهمون بها إلى الله ويتثبتون فيها ويتبينونها حتى لا يبقى فيها غموض أو إبهام »[2] .

وقد تحدى المرزا على هذه النبوءة مراراً وجزم بأنها وحي من الله وأنها متحققة لا محالة وقد قال : وقد ألهمني الله « ويسئلونك أحق هو؟ قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ، زوجناكها لا مبدل لكلماتي . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » (انتهى بلفظه)[3] وقال في الرسالة العربية التي وجهها إلى علماء الهند ومشائخ البلاد : « والقدر قدر مبرم من عند الرب العظيم وسيأتي وقته بفضل الله الكريم ، فوالذي بعث لنا محمد مصطفى وجعله خير الرسل وخير الورى

---

(١) دافع الوساوس ، ص ٢٨٨ .

(٢) ازالة اوهام ، ص ٢٠٢ .

(٣) آسماني فيصله ، ص ٤٠ .

إن هذا حق فسوف ترى ، وأني أجعل هذا النبأ معياراً لصدقي وكذبي ، وما قلت إلا بعد ما أنبئت من ربي »[1] وقال في إلهام آخر « كذبوا بآياتنا وكانوا بها يستهزؤون ، فسيكفيكهم الله ويردها إليك ، لا تبديل لكلمات الله ، إن ربك فعال لما يريد ، أنت معي وأنا معك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » (اعلان ١٠ يوليه ١٨٨٨ م) .

طلب يرفض :

فلنر هل تحققت هذه النبوءة العظيمة التي خاطر فيها المرزا بكرامته وصدقه ؟ لقد رفض أهل الفتاة هذا الطلب في صرامة وجد ، وعزموا على أن يزوجوها شاباً من اهل قرابتهم اسمه المرزا سلطان محمد وعرف ذلك المرزا ، وكان الناس - من المسلمين والمسيحيين والهندوس - قد تسامعوا هذه النبوءة ، وكان المرزا أول من أذاعها في الناس ونشرها في الصحف وسجلها في الكتب واستشرفوا لها ، وكان المرزا يعتقد أن لا بأس أن يجتهد الرجل في تحقيق نبوءة ووعد من الله ويسعى في ذلك فكتب إلى والد الفتاة أحمد بيك وهو ابن خاله وإلى أعضاء الأسرة رسائل رقيقة مرققة يستعطف بها قلوبهم ، ولجأ إلى الوعد والوعيد والاطماع والترهيب ، فلم يزدهم ذلك

---

(١) ص ٢٣ ج ٣ .

إلا عناداً وإصراراً وعرف أن امرأة ابنه فضل أحمد تخالفه في ذلك فأجبر ابنه على تطليقها وطلقها ، وعرف أن ابنه سلطان أحمد يشايع أعداءه ومنافسيه فهجره وحرمه الإرث[1] ووعد خال البنت جائزة إن منع الزواج بسلطان محمد[2] ، ولكن كل ذلك لم يؤثر ووقع المحذور وتزوج سلطان محمد الفتاة في اليوم السابع من أبريل سنة ١٨٩٢[3] مع أن ألوفاً من أتباعه كانوا يدعون في المساجد لتحقيق هذه النبوءة وتبييض وجه من آمنوا به .

معاكسة القدر للمرزا :

ولكن المرزا لم ييأس ولم يقطع الرجاء من تحقق هذه النبوءة ولم يزل يتحدى على ذلك حتى قال حلفاً في المحكمة : « الواقع أن الفتاة لم تدخل في زواجي ، ولكني سأتزوجها كما جاء في النبوءة ويندم المعترضون والشامتون ويطرقون رؤوسهم حياءاً وخجلاً ، إن الفتاة لا تزال حية ترزق ، وستدخل يوماً من الأيام في زواجي ، وليس ذلك بأمل بل هو يقين لا شك فيه ، إنها من أخبار الله ولا مبدل لكلمات الله[4] .

---

(١) سيرة المهدي ج١ ص ٢٢ .

(٢) سيرة المهدي ، ص ١٧٤ .

(٣) آلهه كمالات اسلام ٢١٣ .

(٤) « محكم » قاديان ، السجل الخاص رقم ٩ ، ١٠ من اغسطس ١٩٠٧ م .

وعاش المرزا سلطان محمد وقد مضى عامان ونصف عام فكأن جريراً عناه في بيته السائر :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً
أبشر بطول سلامة يا مربع

ورأى المرزا من المصلحة أن يوسع له في أجله ، ولكنه لم يشك في تحقيق هذه النبوءة فقال « إنه قدر مبرم ، وقد جاء في الإلهام ، لا تبديل لكلمات الله »[1] .

ومرض المرزا مرة أشفى به على الموت وبدا له أن النبوءة لم تتحقق فقد دنا أجله والفتاة متزوجة بمحمد سلطان ولا يزال بقيد الحياة وكاد الشك يساوره في النبأ ولكن الله طمأنه وألهمه عند دنو الأجل : « الحق من ربك فلا تكن من الممترين »[2] .

ولكن الأمنية لم تتحقق ، وسلطان محمد لم يمت بل عاش بعد المرزا زمناً طويلاً مع زوجه وحضر الحرب الأولى وجرح وعاش رغم ذلك أما المرزا فقد مات عام ١٩٠٨ م كما سبق في ترجمته .

---

(١) تبليغ رسالت ، الجزء الثالث ص ١١٥ ، ١١٦ .
(٢) ازالة أوهام ص ٣٩٨

لا بد من الانتظار :

ولكن وفاة المرزا لم تضعف إيمان المؤمنين الراسخين بالمرزا ونبوءته وقال الحكيم نور الدين : لو تزوج فتى من أولاد المرزا بفتاة من ذرية محمدي بيكم في عصر من العصور لتحققت هذه النبوءة[1] .

إن للمرزا غلام أحمد نبوءات تحدي عليها وجعلها معياراً لصدقه وكذبه لم تتحقق ، ولكننا اخترنا هذه النبوءة لأهميتها وشهرتها وطرافتها ، ولأن تحديه عليها كان أعظم وعدم تحققها كان أشهر .

---

(١) وفاة المسيح الموعود ، مقالة للحكيم نور الدين في ريوراوف ريليجنز المجلد السابع عدد ٦ ، ٧ شهر يونيو ويوليو ١٩٠٨ ص ٢٧٩ .

البَابُ الرابِع

القاديانيّة في الميزان

الفصل الأول

دين إزاء دين وأمة إزاء أمة

قضية شاذة في التاريخ الإسلامي :

لقد أخطأ وأغرق في التفاؤل من نظر إلى الديانة القاديانية كعقيدة شاذة من عقائد المسلمين وعاملها كطائفة إسلامية تنحرف عن الجادة وتفارق السواد الأعظم في عقيدة دينية أو رأي علمي ، إن قضية القاديانية تختلف عن ذلك اختلافاً واضحاً ، إنها قضية شاذة من قضايا التاريخ الإسلامي ، وإن أدق تعبير وأصحه عنها أنها دين إزاء دين وأمة إزاء أمة ، وإن كان لها نظير في تاريخ الإسلام الطويل الواسع فهو في الباطنية والإسماعيلية منذ عهد مؤسسها ميمون القداح وابنه عبيد الله ابن ميمون جد العبيديين .

الدين يشمل الحياة كلها :

إن الدين ليس مجرد عقيدة وعمل ، ولكنه عقيدة

وعمل ، وعقلية وعاطفة ، وشعائر ومراكز روحية ، وسلف وتاريخ وماضٍ ، وإن فيه رسالة وغذاءاً وزاداً ومدداً لكل ناحية من هذه النواحي ولكل حاجة من هذه الحاجات التي لا يمكن أن يحرمها الإنسان الحي الواعي وتجرد منها الحياة ، وكل دين من الأديان السماوية وكل نظام من النظم المادية التي توازي الدين وتنافسه تشغل هذه النواحي وتغذيها ، فالمسيحية لها عقيدة معروفة ، وعقلية خاصة وعاطفة متميزة ، وشعائر ومراكز روحية ، وسلف وتاريخ وماض والشيوعية هكذا ، لها عقيدتها وعقليتها وعواطفها ، وشعائرها ، ومراكزها ، وسلفها ، وتاريخها ، وهلم جراً .

مزاحمة القاديانية للإسلام في الحياة :

وإذا قسنا القاديانية بهذا المقياس وجدنا أنها ـ خصوصاً في طور شبابها ومجدها ـ أشبه بديانة مستقلة منها بطائفة أو مذهب أو مدرسة فكرية ، إن فيها اتجاهاً وأضحاً إلى شغل جميع نواحي الحياة الدينية وتغذيتها بغذائها الخاص ، إنها تزاحم الإسلام ـ الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ومضت عليه هذه الأمة ـ في كل شيء وتريد أن تحل محله في العقيدة والفكر والعاطفة ، وتستولي على نصيبه من الطاعة والحب والإحترام والتقديس ، وتتجه بعاطفة من يدين بها وبقلبه وفكره إلى هذه الديانة الجديدة ومنبعها ومركزها

الروحي ، وتعوض كل ما تقطع عنه صلة أتباعها أو تضعف بطبيعة الحال بعوض من عندها ، بل تقلب تيار الحياة الروحية والفكرية من المركز الإسلامي القديم إلى مركز «الإسلام الجديد» .

مزاحمة في المقدسات والشعائر :

وللوصول إلى هذا الغرض والنتيجة الطبيعية ، أنها تقارن بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبين رفقة غلام أحمد فقد جاء في صحيفة « الفضل » القاديانية المجلد الخامس :

« لم يكن فرق بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلاميذ المرزا غلام أحمد إلا أن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية »[1] وتشيد بفضل مدفن غلام أحمد ومساواته لمدفن سيد الرسل صلى الله عليه وسلم ، وقد نشرت صحيفة « الفضل » وهي الصحيفة القاديانية الرسمية في عدد ١٨٤٨ من المجلد العاشر الصادر في دسمبر ١٩٢٢ إعلانا عن قسم التربية في قاديان : « إن الذي يزور قبة المسيح الموعود البيضاء يساهم في البركات التي تخص قبة النبي الخضراء في المدينة ، فما أشقى الرجل الذي يحرم نفسه هذا التمتع في الحج الأكبر إلى قاديان » .

---

(١) عدد ٩٢ يوم ٢٨ مايو ١٩١٨م .

ويعتقد القاديانيون أن قاديان هي ثالثة المقامات الثلاثة المقدسة ويقول المرزا بشير الدين محمود : « لقد قدس الله هذه المقامات الثلاثة (مكة والمدينة وقاديان) واختار هذه الثلاث بظهور تجلياته[1] وقد طبق غلام أحمد نفسه ما نزل من الآيات في بلد الله الحرام والمسجد الأقصى المبارك على قاديان ، فقد قال في حاشيته على « براهين أحمدية » إن قوله تعالى : « ومن دخله كان آمنا ، يصدق على مسجد قاديان »[2] ويقول في بيت ترجمته بالعربية : « وإن أرض قاديان تستحق الإحترام وإنها من هجوم الخلق أرض الحرم »[3] .

وقال : تحقق عندي أن الذي قلته في براهين أحمدية عن قاديان على طريق الكشف وأنها ذكرت في القرآن صحيح لا غبار عليه فانه من المؤكد أنها المراد بقوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . . . فالمراد بالمسجد الأقصى مسجد المسيح الموعود الواقع في قاديان »[4] .

وإذا كانت قاديان تناهض البلد الحرام وربما تفوقه فلا بد

---

(١) الفضل ٣ سبتمبر ١٩٣٥ م .

(٢) براهين احمدية ، ج٤ ، ص ٥٥٨

(٣) در ثمين (مجموع كلمات غلام احمد) ص ٥٢ .

(٤) تذكرة يعني الوحي المقدس ، ص ٣٤٥ .

أن السفر إليها يساوي الحج بل يفوق عليه ، وقد جاء في صحيفة « الفضل » المجلد العشرين عدد ٦٦ : « الحج إلى قاديان حج شكلي إلى البيت الحرام »وزادت على ذلك « بيغام صلح » لسان حال الفرع اللاهوري فنشرت : « إن الحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف خشيب ، لأن الحج إلى مكة اليوم لا يؤدي رسالته ولا يفي بغرضه »[1] .

وقد بدأ القاديانيون بعد المرزا يؤرخون بالشهور الجديدة التي تتصل بحوادث حياته وهنا أسماء الشهور المقابلة للشهور الإفرنجية : الصلح ، التبليغ ، الأمان ، الشهادة ، الهجرة ، الإحسان ، الوفاء ، الظهور ، تبوك ، الأخاء ، النبوءة ، الفتح .

ترحيب القوميين الهنديين بالقاديانية :

وقد رحب الهندك الذين لم يزالوا ينقمون على المسلمين تعلق قلوبهم بالجزيرة العربية بصفتها مهد الإسلام ومنزل الوحي ، وبالنبي العربي صلى الله عليه وسلم ويرون ذلك نقصاً في وطنيتهم ، ويقولون إنهم دائماً ينظرون إلى الخارج ويستمدون منه العاطفة الدينية والغذاء الإيماني ، قد

---

(١) المجلد الحادي والعشرون عدد ٣٣ .

رحب هؤلاء الناقمون والوطنيون الغلاة بالديانة التي تنقل المركز الروحي والثقافي من الجزيرة العربية ومن الحرمين الشريفين إلى « القاديان » ، وتركز الدين والعواطف الدينية وتحصرها في الهند وتضفي عليها القداسة واعتبروها انتصاراً للوطنية الهندية على الإسلام الأجنبي وفرصة سانحة للتحول العظيم في تفكير المسلمين ، واتجاههم ، وننقل هنا قطعة من مقالة لكاتب هندكي نشرتها صحيفة هندكية في عددها الصادر في ٢٢ ابريل سنة ١٩٣٢ م :

« إن المسلمين الهنود يعتبرون أنفسهم أمة منفصلة متميزة ، ولا يزالون ينظرون ببلاد العرب ويحنون إليها ، ولو استطاعوا لأطلقوا على الهند اسم العرب . وفي هذا الظلام الحالك وفي هذا اليأس الشامل يظهر شعاع من نور يبعث الأمل في صدور الوطنيين ، وهي حركة الأحمديين (القاديانيين) وكلما أقبل المسلمون إلى الأحمدية نظروا إلى قاديان كمكة هذه البلاد والمركز الروحي العالمي وأصبحوا مخلصين للهند وقوميين بمعنى الكلمة . إن تقدم الحركة الأحمدية ضربة قاضية على الحضارة العربية والوحدة الإسلامية ، وكل من اعتنق الأحمدية تغيرت وجهة نظره وضعفت صلته الروحية بمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك ، وتنتقل الخلافة من الجزيرة العربية وتركيا إلى قاديان في الهند ، ولا تبقى لمكة والمدينة إلا حرمة تقليدية . إن كل احمدي سواء كان في البلاد العربية أو

تركيا أو إيران أو في أي ناحية من نواحي العالم يستمد من « قاديان » القوة الروحية وتصبح قاديان أرض نجاة له . وفي ذلك سر فضل الهند وهذا هو سر عدم ارتياح المسلمين إلى حركة الأحمدية وقلقهم منها ، لأنهم يعتقدون أن حركة « الأحمدية » هي المنافسة للحضارة العربية والاسلام ، ولذلك اعتزل الأحمديون عن حركة « الخلافة » لأنهم يحرصون على تأسيس الخلافة في قاديان مكان تركيا والجزيرة العربية ، وان كان هذا الواقع مقلقاً للمسلمين الذين لا يزالون يحلمون بالاتحاد الإسلامي وبالاتحاد العربي ، ولكنه مصدر سرور وارتياح للوطنيين الهنديين »[1] .

---

(١) مقالة للدكتور شكر داس مهرا في صحيفة (بند في ماترم) .

الفصل الثاني

ثورة على النبوة المحمدية

موهبة خص الله بها هذه الأمة :

لقد كانت عقيدة أن الدين قد أكمل وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء وخاتم النبيين وأن رسالته هي الرسالة الأخيرة ، موهبة خص الله بها هذه الأمة . ولذلك نظر إليها العالم اليهودي الذي تحدث مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، بغبطة عظيمة وحسرة كبيرة وكان بعيد النظر في قوله « آية في كتابكم تقرأونها ، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً » يعني قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ولم يعارضه عمر رضي الله تعالى عنه في جلالة هذه الآية وأهميتها ، ولكنه نبهه على أنه لا يحتاج إلى عيد جديد لأنها نزلت في يوم عظيم وقال : « قد عرفنا ذلك اليوم

والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة »[1] .

الحارس من الفوضى الفكرية :

لقد بقيت هذه العقيدة تحرس هذا الدين من غائلة المبتدعين وفتنة المتنبئين والمتزعمين ، وتحرس هذه الأمة من الفوضى الفكرية والدينية التي كانت الأمم السابقة والديانات السالفة فريستها . واستطاع هذا الدين واستطاعت هذه الأمة ـ بفضل هذه العقيدة ـ أن تقاوم المؤامرات الدقيقة وتحتمل الصدمات العنيفة ، وبقيت وحدة في الدين والعقيدة لم تواجه ثورة داخلية أو اضطراباً فكرياً ـ إلا ما كان من الباطنية في العهد القديم ـ ولا تنقسم هذه الأمة في أمم ، لكل وجهتها ولكل مركزها الروحي ، ومصدرها العلمي ، والثقافي ، ولكل تاريخ منفرد وماض مختلف .

فضل عقيدة ختم النبوة :

ولقد كانت عقيدة ختم النبوة تمجيداً للنوع الانساني كذلك وإعلاماً بأن النوع البشري قد بلغ سن الرشد والنبوغ

---

(١) الجامع الصحيح للبخاري كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه .

وجاءت الرسالة الأخيرة ، وأصبح المجتمع البشري في غنى عن وحي جديد ورسالة سماوية جديدة ، فبعث ذلك في الإنسان الثقة ببلوغه وكان ذلك حافزاً للإنسان على التقدم في المدنية والاعتماد على العلم والتجربة في الحياة اليومية .

ليست حاجة العالم اليوم أن ينتظر وحياً جديداً من السماء فيرفع بصره إليها ، وإنما حاجته اليوم أن يفكر في مواهب هذا الكون وطاقاته التي خلقها الله تعالى ليستغلها الإنسان في مصالحه ويستخدمها لحوائجه ، كما أن حاجته اليوم أن يفكر في نفسه وينظر الى الأرض لبناء حياة أفضل تقوم على أساس من الدين والأخلاق ، إن الاعتقاد بانتهاء النبوءة يبعث في الإنسان روح الطموح والتقدم ، ويحثه على بذل مواهبه ، ويعين له الحقل الصحيح والمجال السليم لكفاحه وجهوده .

لولا عقيدة ختم النبوءة لفقد الإنسان ثقته بنفسه وبقي في ريب دائم ، وظل شاخصاً ببصره إلى السماء بدلاً من أن ينظر إلى الأرض ، وفقد ثقته بمستقبله ، وثارت شبهات وشكوك حوله ووقع فريسة المتنبئين على الدوام ، ولا يظهر متنبىء يؤكد له أن الروضة الإنسانية كانت ناقصة فجئت وبلغت كمالها ، إلا إنه يضطر إلى اعتقاد أن هذه الروضة إذا كانت ناقصة إلى الآن فأي ضمان لكمالها في مستقبل الحياة الإنسانية .

وهكذا يستمر انتظاره لمن يبلغ بهذه الروضة إلى حد الكمال ، دون أن يتمتع بأزهارها وأثمارها ، ودون أن يهمه سقيها وريها .

يقول الدكتور محمد إقبال في كتابه « تجديد الفكر الديني في الإسلام » « إن النبوة في الإسلام لتبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى أنهاء النبوة نفسها ، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق ، لاستحالة بقاء الوجود معتمداً إلى الأبد على مقود يقاد منه ، وأن الإنسان لكي يحصل كمال معرفته لنفسه ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو ، إن ابطال الإسلام للرهبنة ، ووراثة الملك ، ومناشدة القرآن للعقل والتجربة على الدوام ، وإصراره على أن النظر في الكون والوقوف على أخبار الأولين من مصادر المعرفة الإنسانية ، كل ذلك صور مختلفة لفكرة انتهاء النبوة »[1] .

منافسة للنبوة المحمدية :

لقد شهد التاريخ الإسلامي محناً عظيمة ومؤامرات خطيرة ولكنه لم يشهد مثل هذه المحنة ومثل هذه المؤامرة . لقد كانت المحن القديمة ثورة على الحكم الإسلامي أو ثورة

---

(١) تجديد الفكر الديني في الإسلام ، ترجمة عباس محمود ص ١٤٤ .

على الشريعة الإسلامية ، ولكن القاديانية كانت ثورة على النبوة المحمدية وعلى خلود الرسالة الإسلامية وعلى وحدة هذه الأمة ، وإنها تخطت الخط الأخير الذي يفصل هذه الأمة عن أمم أخرى والذي يعتبر كخط التحديد بين مملكتين . ولقد كان الدكتور محمد إقبال موفقاً وحكيماً في الحكم على القاديانية بأنها خطر على الإسلام وانها ديانة مستقلة ، قال رحمه الله في رسالة وجهها إلى كبرى صحف الهند الإنجليزية استيتسمن (Statesman) التي أثارت مسألة القاديانيين قبل سنوات : « إن القاديانية محاولة منظمة لتأسيس طائفة جديدة على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم »[1] ورداً على كلمة البندت جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند الحالي وقد تساءل : لماذا يلح المسلمون على فصل القاديانية من الإسلام وهي طائفة من طوائف المسلمين الكثيرة ؟ قال الدكتور « إن القاديانية تنحت من أمة النبي العربي صلى الله عليه وسلم أمة جديدة للنبي الهندي » وذكر أنها أشد خطراً على الحياة الإجتماعية للإسلام في الهند من عقائد اسفنوزا (Spinozo) الفيلسوف اليهودي التاثر على نظام اليهود .

ويقول في تفصيل في مقالته في استيتسمن التي سبق ذكرها « إن عقيدة أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين

---

(١) نشرت الصحيفة هذه الكلمة في عددها الصادر في ١٠ يونيه ١٩٣٥ م

هو العامل الذي يخط خط التحديد (Line of Demarcation) بكل دقة بين الدين الإسلامي والديانات الأخرى التي تشارك المسلمين في عقيدة التوحيد والموافقة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنها تقول باستمرار الوحي وبقاء النبوة كـ « برهمو سماج » في الهند ، وهو الذي يستطيع به الإنسان أن يحكم على طائفة بالاتصال بالإسلام والانفصال عنه ، ولا أعرف في التاريخ طائفة مسلمة اجترأت على تخطي هذا الخط . إن البهائية في إيران أنكرت عقيدة ختم النبوة ولكنها أعلنت بصراحة أنها طائفة مستقلة ليست مسلمة بمعنى الكلمة المصطلح » .

المجتمع الإسلامي قائم على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم :

ويستمر قائلاً : « إننا نعتقد أن الإسلام دين أوحى الله به ولكن وجود الإسلام كمجتمع أو أمة يتوقف على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس للقاديانية إلا أن يختاروا أحد الأمرين ، إما أن يتبعوا البهائية في انفصالها من المسلمين وإما أن يتخلوا عن تفسيراتهم المتطرفة لفكرة ختم النبوة في الإسلام ، إن تأويلاتهم السياسية لا تنم إلا عن حرصهم على البقاء في محيط المسلمين ليستغلوا هذا الاسم ويتمتعوا بفوائد سياسية لا تحصل إلا باسم المسلمين » .

وقال في محل آخر «إن كل مجتمع ينفصل عن الإسلام له طابع ديني يقوم على أساس نبوة جديدة ويعلن كفر جميع المسلمين الذين لا يصدقون بهذه النبوة المزعومة ، يجب أن ينظر إليه المسلمون كخطر جدي لوحدة الإسلام (Integrity of Islam) إن نبوغ المجتمع الإسلامي لا يقوم إلا على عقيدة ختم النبوة » .

المتنبئون :

لقد فتح المرزا غلام أحمد باب النبوة على مصراعيه وقال : « إن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم يمنح كمالات النبوة وإن العناية بذلك والإهتمام به ينحت الأنبياء الجدد ويخلقهم »[1] وقال نجله وخليفته المرزا بشير الدين محمود « لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفدت » ما قدروا الله حق قدره ، إنكم تتنازعون في نبي واحد وأنا أعتقد أنه سيكون هنالك ألف نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم »[2] وقد أحدث ذلك فوضى في « النبوة » وفقدت كلمة « النبوة » جلالتها وحرمتها وقداستها ، وأصبحت ألعوبة وعبثاً ، وهان على الناس ، بصفة عامة ، بعد المرزا أن يتنبأوا ، وما عرفنا في التاريخ الهندي

---

(١) حقيقة الوحي للمرزا غلام احمد ، ص ٩٦

(٢) انوار خلافت ص ٦٤ .

الذي لا يزال محفوظاً إلى حد كبير شخصيته أنكرت ختم النبوة وتجرأت على تأسيس دين جديد سوى الامبراطور « أكبر » غير إنه لم يدع النبوة كما ادعاها المرزا بصراحة وتنظيم ، ولكن المرزا هو أول من فتح هذا الباب بوجه عام وقام متنبئون ، وقد عد منهم الأستاذ محمد الياس البرني إلى عام ١٣٥٥ هـ سبعة ، ولا شك أنه ليس احصاءاً دقيقاً وإلا فان قام أحد باحصائهم بشيء من الإهتمام لوجد في نفس مقاطعة بنجاب أكثر من هذا العدد بكثير .

كما احتج على كثرتهم وضعف آرائهم المرزا بشير الدين محمود نفسه ، في إحدى محاضراته ، يقول :

« لقد نشأ في جماعتنا كثير ادعوا النبوة ، وأعتقد أنهم ليسوا في الدعوى كاذبين غير واحد منهم ، وفي الحقيقة أنهم ألهموا في أول الأمر ، ولا عجب إذا كان هذا الإلهام باقياً إلى الآن ، ولكن الخطأ الذي وقعوا فيه هو أنهم أخطأوا في فهم تلك الإلهامات ، وأنا شخصياً أعرف بعض هؤلاء حتى أستطيع الإقرار باخلاصهم وخشيتهم لله ، ولا يدري ما في قلوبهم إلا الله ، سوى أنهم كانوا في بادئ الأمر مخلصين ، وكانت بعض إلهاماتهم من الله ، ولكن الذي سبب خسارتهم هو أن حكمتها خفيت عليهم فعثروا[1] .

---

(١) الفضل اول يناير ١٩٣٥ م

التفريق بين المسلمين :

إن البلبلة الفكرية والإضطراب العظيم الذي تحدثه هذه النبوءات الكثيرة المزعومة وما يؤول ذلك إلى تفريق بين المسلمين وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية ، يبعث في كل قلب مسلم وحشة وقلقاً ، ولم يتعود الناس في هذا العصر الذي يتسم بسمة اللادينية والإلحاد أن ينسبوا إلى أنفسهم صفات « أنا النبي » و« أنا الحق » ولكنه إذا نشأ هنا في العالم الإسلامي ذوق التنبؤ بتأثير رسائل المرزا ودعاته المتحمسين وظهر رجال في مختلف أرجاء العالم الإسلامي يرفعون راية « النبوة » ويكفرون الذين لا يقبلون دعوتهم كنتيجة حتمية للنبوة ، فلا ينتج ذلك سوى بلبلة فكرية وفوضى دينية واصطدام بين الأفكار ، ويتوزع العالم الإسلامي بين جبهات مختلفة ، وتقع هذه الأمة التي جاءت لمحو كل عصبية من اللون والجنس والوطن وإنشاء الأخوة الإسلامية فريسة التفريق والتكفير والعصبيات الدينية .

لقد أحس بخطر القاديانية الأستاذ محمد علي اللاهوري ، وأبداه في إحدى مقالاته بكل قوة ووضوح ، غير أنه لم يفكر أن فاتح باب هذا الخطر إنما هو المرزا غلام أحمد ، وأنه هو أول شخص عرض فكرة استمرار النبوة كحركة ودعوة ، يقول الأستاذ محمد علي يخاطب أهل البصيرة :

« أنشدكم بالله ، إن صح الاعتقاد بأن النبوة لم تنقطع وأن الأنبياء لا يزالون في غدو ورواح إلى هذا العالم كما صرح بذلك محمود أحمد في « أنوار الخلافة » أفلا تزال هذه الطوائف التي تعد بالآلاف تكفر بعضها بعضاً ، وتغيب الوحدة الإسلامية ؟ نفرض أن هؤلاء الأنبياء يبعثون في الجماعة الأحمدية (القاديانية) وحدها ، أفلا تمزق بذلك الجماعة الأحمدية نفسها ، إنكم لا تجهلون السنن القديمة ، وتعرفون كيف كان الناس ينقسمون بين موافق ومعارض على مبعث نبي ، إن الله الذي قضى بتوحيد شعوب العالم وأممه أيمزق المسلمين ويقطعهم إرباً إرباً يكفر بعضهم بعضاً ، وتتوتر بينهم العلائق والصلات وتصبح الأخوة الإسلامية أثراً بعد عين ؟ إعلموا إذا كان الله قد وعد بأن يظهره على الدين كله وهو لا يخلف الميعاد فان الإسلام لا يبتلي بهذه المحنة ولا يأتي يوم ينفرد كل نبي بحربه ، وتتوزع المسلمين دعوات مختلفة ، ورايات مختلفة ، ومراكز روحية مختلفة ، ويصبح كهنتها محتكرين للإيمان والنجاة ، يكفرون سائر المسلمين »[1] .

افتراض خاطىء :

هناك افتراض خاطىء للمرزا غلام أحمد ، فتح باباً آخر

---

(١) رد تكفير اهل قبله لمحمد علي ص ٣٤ .

للفساد والإضطراب والفوضى في التفكير الإسلامي والمجتمع الإسلامي وهو أنه جعل « المكالمات والمخاطبات الإلهية » شرطاً لصحة الديانة ونتيجة طبيعية للعمل بالأحكام الشرعية والعبادة ، ولذلك فان الدين الذي لا توجد فيه هذه المخاطبات الإلهية إنما هو دين باطل وميت بل هو دين الشيطان المؤدي إلى جهنم وإذا كان أتباع دين لم يتشرفوا بهذه النعمة رغم عباداتهم وعملهم بالأحكام الشرعية فانما هم في جهل وغواية ، يقول في كتابه « براهين أحمدية » ج ٥ :

لن ينال ذلك النبي أي مكانة في القلوب ولا عظمة في النفوس ، ولا يملك قوة ولا تأثيراً في شخصيته اذا كان أتباعه عمياناً ضالين ومحرومين مخاطبات الله وكلامه ، وما أضعف هذه العقيدة وأعماها ، أن يعتقد الإنسان أن باب النبوة والوحي والإلهام أغلق من بعد النبي محمد عليه الصلاة والسلام للأبد ، ولن يأتي نبي إلى يوم القيامة وإنما هي القصص التي يجب الإيمان بها والعبادة لها ، إن الدين الذي لا يتمكن فيه الإنسان من معرفة الله عن طريق مباشر بل هو يعتمد على القصص فقط ، وبالرغم من تضحياته وتفانيه في سبيله وإيثاره على كل شيء لا يفتح عليه باب « المكالمات والمخاطبات الإلهية » لا يستحق أن يسمى ديناً ..

إنني أقسم بالله أنني أشد الناس كراهة وازدراءاً لهذا

الدين الذي لا يصلح لهذا ، إني لا أسميه الديانة الرحمانية بل أسميه الديانة الشيطانية ، وأومن بأنه دين يهدي إلى جهنم ، يعيش فيه الإنسان أعمى ويموت أعمى ويدفن أعمى »[1] .

عاقبة اشتراط المكالمات :

لقد جنى المرزا غلام أحمد جناية عظيمة على هذا الدين الذي جعله الله يسراً وصالحاً للعمل في كل زمان ، فعقده المرزا وحدده في دائرة ضيقة محدودة إذ جعل « المكالمات والمخاطبات الإلهية » شرطاً للنجاة والمعرفة والصدق والحق ، ويقول الله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »[2] و « ما جعل عليكم في الدين من حرج »[3] و« لا يكلف الله نفساً إلا وسعها »[4] .

وإذا كانت المخاطبات الإلهية شرطاً للمعرفة والنجاة فليس شيء أصعب من الدين ، فكثير من الناس لا تلائم طبائعهم ومواهبهم الإلهام ، ومهما بلغوا وبالغوا في الرياضة والمجاهدات لا يفتح عليهم باب الإلهام والمخاطبات ، كما

---

(١) براهين أحمدية ج٥ ص ١٨٣ .
(٢) البقرة آية ١٨٥
(٣) الحج آية ٧٨ .
(٤) البقرة آية ٢٨٦ .

أن هناك عدداً من الناس يوجد فيهم استعداد فطري وموافقة طبعية لهذا الإلهام غير أنهم لا يجدون سعة في الوقت ولا توفيقاً للمجاهدات التي هي شرط لهذه المخاطبات .

إن الدين الذي جاء لفلاح البشرية والعالم كله والذي هو عام شامل للناس أجمعين لا يفرض هذا الشرط الصعب للوصول إلى الله ، والحصول على رضاه ، الشرط الذي لا يستوفيه في هذا العالم إلا عدد ضئيل من الناس .

يذكر الله تعالى في أول سورة « المؤمنون » صفات المؤمنين المفلحين فيقول « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » وفي آخر سورة الفرقان ، « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا الخ[1] » ، واقرأوا الآيات الأولى من سورة البقرة« الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

فلم يستوجب الله تعالى في أي مكان من هذه الآيات «المخاطبات الإلهية» كشرط للهداية والفلاح . وبالعكس من ذلك جعل الإيمان بالغيب أول شرط للهداية ، وهذا الإيمان بالغيب معناه أن يؤمن الإنسان بالحقائق الغيبية التي لا تدرك

---

(١) آية ٦٤ .

بالعقل والحواس الظاهرة وحدها ، اعتماداً على النبي الذي اصطفاه الله تعالى لوحيه وإلهامه ، فإن اعترفنا بقول المرزا في جعله الوحي الإلهي شرطاً للمعرفة والنجاة لما بقيت حاجة إلى هذا الإيمان بالغيب ، ولكن القرآن يكرر هذا المفهوم في كل حين .

وهذه حياة الصحابة الكرام بين أيدينا ، هل يقرر التاريخ وكتب الحديث أنهم تشرفوا بالوحي والمخاطبات الإلهية ؟ بل من وكل له إلمام بتاريخ ذلك العهد وطبيعة تلك الجماعة وأحوالها بل وطبيعة الإنسانية ونفسيتها لا يدعي أن هذا العدد الكبير من هذه الجماعة المقدسة وصل إلى درجة الإلهام والمخاطبات ، فضلاً عن غيرهم .

السر في انكار سلسلة النبوة :

إن هذا الإلحاح على المخاطبات الإلهية والاشادة بها وتعميمها إنما هي ثورة على النبوة المحمدية ومؤامرة ضدها ، وما دامت هذه المخاطبات عامة بهذا النوع لا تبقى حاجة الأنبياء بدليل العقل والعمل ، وقد قرر القرآن الكريم والأديان السماوية كلها إمكان هداية الإنسان وحصول معرفة ذات الله تعالى وصفاته ومشيئته ، وعلم الحقائق الغيبية كلها عن طريق النبوة ، يقول القرآن الكريم على لسان المؤمنين المهتدين ، « الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا

الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق »[1] . وفي محل آخر يرد على العقائد الباطلة والأفكار المشركة عن الذات والصفات « سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين[2] ، كما يذكر الحكمة الإلهية في بعثة الأنبياء والرسل فيقول « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »[3] .

وإذا درسنا فلسفة المرزا غلام أحمد التي تقول باستمرار النبوة ودوام الوحي وعموم المخاطبات الإلهية ، دراسة واعية دقيقة ، وحللناها تحليلاً علمياً تتجلى فيها روح انكار النبوة فضلاً عن إثباتها ، وتصبح الهداية والمعرفة الإلهية فناً من « التنويم المغناطيسي » أو تجربة روحية تشبه الحركة الحديثة ، التي يسميها الناس اليوم (حركة استحضار الارواح) (Spiritualism) » .

مصدر المخاطبات :

ثم ما هو معيار هذه المخاطبات وأين ذلك المحك الذي تنقد عليه ؟ وأي ضمان بكون ما يسمعه الإنسان وحياً إلهياً ،

---

(١) الأعراف آية ٤٣ .

(٢) الصافات ايات ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢

(٣) النساء آية ١٦٥

وبأنه ليس نداء ضميره ؟ وصدى بيئته وتأثير أهواء النفس والمجتمع الذي يعيش فيه ، إن المطلع على المجموعة القديمة من المكاشفات (الكشوف) والمكالمات يعرف جيداً أن معظمها كان يصدق تلك الأوهام والمفروضات والنظريات الخاطئة التي يشتمل عليها علم الأصنام القديم ، والأساطير القديمة ، والذي يدرس تاريخ المشاهدات الروحية والمكالمات الإلهية التي أنتجتها « الأفلاطونية الجديدة » في مصر يتحقق له أنها كانت تصدق الدعاوى الفلسفية والعقائد الوثنية القديمة ، وقد تحدث بعض أصحاب المكاشفات والمكالمات في العهد الإسلامي عن محادثته ومصافحته مع « العقل الأول » مع انه لم يكن إلا خيالاً ووهماً أحدثته الفلسفة القديمة وعلم الأصنام في اليونان .

إن مكالمات المرزا نفسه ليست إلا نتيجة لبيئته وتربيته ، وهواجس قلبه ، وصورة لمجتمعه المنحط السافل الذي نشأ فيه وقام بدعوته ، كما أن معظم تلك المكالمات ليس مصدرها الوحي الإلهي وإنما هو الحكم السياسي السائد في الهند آنذاك ، يشعر بذلك ويعلمه عن يقين كل مطلع على التاريخ السياسي في هذه البلاد ، إن الدكتور محمد إقبال الذي يعد بحق من كبار علماء الفلسفة أزاح الستار عن وجه هذه الحقيقة في أسلوبه العلمي الخاص ، بعد دراسة عميقة لحركة المرزا ومكالماته وإلهاماته ، يقول في مقالته التي كتبها رداً على

الباندیت نهرو لبعض الشبهات والأسئلة التي أثارها هو :

« إني أعترف بأن مؤسس الجماعة الأحمدية سمع صوتاً ، ولكن الحكم بأن هذا الصوت كان من عند الله الذي بيده الحياة والقوة أم كان مصدره الإفلاس الروحي الذي كان سائداً في الناس ، إن هذا الحكم يتوقف على هذه الحركة التي خلقها هذا الصوت كما يتوقف ذلك على معرفة الأفكار والعواطف التي أحدثها في سامعيه ، ولا يظن القراء أني أستعمل استعارات ، بل إن التاريخ يشهد أن الأمة التي وقعت فريسة الذل والانحطاط يصبح مصدر الإلهام لديها نفس ذلك الإنحطاط الذي تورطت فيه ، ويخضع له الشعراء والفلاسفة والصوفية والسياسيون من تلك الأمة ، وهنالك تنشأ فيهم جماعة من الدعاة ، غايتها أن تثني دائماً على الجوانب القبيحة السائدة في تلك الأمة بقوة منطقها العذب الساحر ، إن هؤلاء الدعاة يضمرون اليأس دون أن يشعروا به في ستر الرجاء والطموح اللامع الجميل ، ويستأصلون جذور العمل والبطولة في نفوس هذه الأمة ، وهكذا يقضون على القوة الروحية في الرجال الذين يقعون فريسة لهم ، ويستطيع الإنسان ان يفهم ما يصل إليه هؤلاء الناس من صغر النفس وخور العزيمة وتقديس القوة والسلطة السياسية[1] ، الذين يقال لهم - على أساس

---

(١) وهذه هي سياسة القاديانيين المتبعة في ارجاء العالم كله - سياسة تأييد الحكومة -

الإلهام ـ أن ينظروا إلى السلطة الأجنبية القائمة كشيء قد قضاه الله فلا محيص عنه .

إذن اعتقد أن هؤلاء الابطال الذين أسهموا في تمثيلية حركة الأحمدية كانوا ألعوبة في يد الانحطاط والزوال »[1] .

غرضه من إثبات استمرار النبوة :

ومعلوم أنه لا يعني باثبات استمرار النبوة إلا إثبات النبوة لنفسه كما أنه لا ينكر ختم النبوة إلا على نفسه ويعتقد أنه لا نبي بعده .

يقول العلامة الدكتور محمد إقبال في أسلوبه البليغ :

« إن استدلال مؤسس حركة « الأحمدية » ـ الأسلوب الذي لا يجدر إلا بمتكلمي القرون الوسطى ـ أنه إذا لم يأت نبي آخر بعد نبي الإسلام فانما تبقى روحانيته ناقصة في الانتاج ، إنه يتزعم النبوة ليقيم دليلاً على أن روحانية النبي صلى الله عليه وسلم كانت تحمل قوة تستطيع أن تخلق نبياً

= والولاء لها والاعتماد عليها في نشاطهم الدعوي ، ويقول (J. Spencer Trimingham) في كتابه : (Islam in West Africa) (الإسلام في افريقية الغربية) : من تقاليد القاديانيين وعقائدهم حماية السلطة القائمة التي يدين وجودهم لحيادها » ص ٢٣٢ .

(١) جريدة اقبال ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

بعده ، وهو ذلك النبي الذي خلقته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . ولكن ينبغي أن يسأل : هل كانت قوة النبي عليه السلام تلك تقدر على خلق أكثر من نبي واحد ؟ سيكون جوابه لا ! أليس هذا الظن الخاطىء مما يشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس خاتم النبيين ، وإنما خاتم النبيين هو نفسه ، وبدلاً من أن يفكر الرجل في المكانة التي يشغلها التصور الإسلامي لعقيدة ختم النبوة ، وفي خطر هذه العقيدة وقيمتها الحضارية في تاريخ النوع الإنساني بصفة عامة وفي تاريخ آسيا بصفة خاصة . يعتقد مؤسس هذه الحركة أن مفهوم ختم النبوة بمعنى أنه لا يمكن لأي متبع لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم أن يحصل على درجة للنبوة إساءة إلى نبوته صلى الله عليه وسلم ، وعرض لها عرضاً ناقصاً مبتوراً .

وعندما أدرس نفسية المرزا غلام أحمد في ضوء دعوى نبوته يبدو لي بجلاء أنه لا يعتقد قوة نبي الإسلام الروحية التي تستطيع أن تخلق الأنبياء إلا لنفسه فقط ، ولا ينكر ختم النبوة على محمد صلى الله عليه وسلم إلا إثباتاً لدعواه ، وهكذا خلسة يستولي هذا النبي المتزعم على منصب « ختم النبوة » الذي يثبته المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم»[1] .

ولكن عجز الناس عن أن يفهموا معنى كلام المرزا الذي

---

(١) جرب اقبال ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

يزعم فيه أن القوة الخالقة في النبي صلى الله عليه وسلم تخص فرداً معيناً وهو نفسه فقط ، فلم تكن تلك القوة قد عملت في أحد قبله ولا بعده ، رغم أن المرزا لم يظهر في الدنيا إلا بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة عشر قرناً .

الفَصْل الثَّالث

الفرع اللاهوري وعقيدته وتفسيره

الطائفة الصريحة :

لقد تشبثت الطائفة القاديانية التي يتزعمها المرزا بشير الدين محمود بعقيدة نبوة المرزا غلام أحمد في صراحة وصرامة ، وحافظت عليها ودافعت عنها في قوة وحماسة ، ومهما قيل عن شذوذها وتطرفها وبعدها عن الإسلام فانها تستحق أن توصف بالشجاعة وعدم النفاق ، وعدم اللف والدوران .

موقف معقد :

ولكن موقف الفرع اللاهوري - الذي يتزعمه « مولانا » محمد علي ، صاحب ترجمة القرآن الإنجليزية والمؤلفات الكثيرة - موقف غريب يصعب فهمه ، إن من درس مؤلفات

المرزا - ولو دراسة عابرة - اقتنع وآمن بأنه يدعي النبوة ويصرح بها ويتحدى عليها ، ويكفر من لا يؤمن بها ، كما أسلفنا في الفصول السابقة ، هذا مما لا يتطرق إليه الشك ولا يسوغ فيه التأويل ، ولكن زعماء الفرع اللاهـوري يلحون على أن المرزا لم يدع النبوة ، وكلها تعبيرات ومجازات ويكابرون في ذلك اللغة ويكابرون الواقع ، ويلقبهم القاديانيون بالمنافقين لانهم يحاولون الجمع بين العقيدة القاديانية والانتساب إلى مؤسسها وزعيمها وبين إرضاء الجماهير .

عقيدة محمد علي اللاهوري :

إن محمد علي يلقب المرزا غلام أحمد بمجدد القرن الرابع عشر والمصلح الأكبر ، وزيادة على ذلك يعتقد أنه المسيح الموعود ، وعلى ذلك تلتقي الطائفتان ، وقد جاء في تفسيره ما يصرح بذلك ، يقول في تفسير قوله تعالى « ورسولاً إلى بني إسرائيل » إن ابن مريم الذي أخبر الرسول بقدومه ليس معناه إلا أن يأتي أحد أفراد هذه الأمة في لون ابن مريم كما تحققت نبوءة عود إلياس بقدوم يحيى في لونه[1] .

ويلقب غلام أحمد بمسيح هذه الأمة في كتابه « رد تكفير

---

(١) بيان القرآن ج ص ٣٧١ .

أهل قبلة »[1] ، ويلقبه بالمسيح الموعود في عامة كتبه[2] .

الحاد في التأويل وتحريف في التفسير

ويغلب على محمد علي اتجاه تفسير المعجزات والأمور الغيبية التي تتعلق بقدرة الله الواسعة بالأمور الطبيعية والحوادث العادية التي تتفق مع النواميس الطبيعية والتجارب اليومية ، وهو يبالغ في ذلك ويغرق في التأويل ولو أبى ذلك اللغة الصريحة ، واللفظ الصريح ، وهو أسلوب لبق من أساليب إنكار المعجزات والأمور الغيبية والفرار من الإيمان بالغيب والاعتماد على قدرة الله وصفاته وأفعاله ، والخضوع الزائد للمقررات الطبيعية التي لا تزال في دور التحول والتطور، وهذا تفكير خطير على الإسلام ومعارضته للدين الذي يطلب الإيمان بالغيب ، وهنا أمثلة من هذا التفسير :

أمثلة من التفسير :

١ ـ إنه يفسر قوله تعالى في قضية طائفة من بني إسرائيل عبدت العجل وعاقبها الله بأن يقتل بعضها بعضاً « فتوبوا

---

(١) ص ٥ .

(٢) انظر كتاب الشبوة في الإسلام ومناظرة راولبندي .

إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم » : إن المراد بالقتل هنا إماتة الشهوات وهذا الذي أرجحه بناءاً على السياق والسباق[1].

٢ - ويقول في تفسير قوله تعالى « ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » : « المراد بالموت هنا زوال الحس يعني إنه غشي عليهم وفقدوا الشعور حين أخذتهم الصاعقة ثم رد الله إليهم الشعور فكان ذلك بعثاً لهم ، أو المراد زوال القوة العقلية يعني كان اقتراحكم اقتراح جهل وضلالة ، فكنتم في موت جاهلي ، أنقذكم الله منه ورزقكم الإيمان على نسق قوله تعالى « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس » وكقول الشاعر :

أخو العلم حي خالد بعد موته
وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
يظن من الأحياء وهو رميم[2]

٣ - ويقول في تفسير قوله تعالى « فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، قد علم كل

---

(١) بيان القرآن ، ج ١ ص ٦٥

(٢) بيان القرآن ، ج ١ ص ٦٦

أناس مشربهم ، من معاني الضرب السير في الأرض يقال ضرب في الأرض يعني سار[1] ، ومن معاني العصا الجماعة وعصوت يعني جمعت ويقال عن الخوارج شقوا عصا المسلمين ، ويقال إياك وقتيل العصا[2] ، والمراد أن الله أمر موسى بالمسير الى جبل خاص ، والانتقال بجماعته اليه حيث وجد اثنتي عشرة عيناً ضرب عليها فصائل بني اسرائيل خيامها وأخبيتها[3] .

٤ ـ ويقول في تفسير قوله تعالى « ورفعنا فوقكم الطور » ليس المراد أن الله رفع هذا الجبل على رؤوسهم مثل الظلة لا يستقر على الأرض ، بل المعنى أنكم كنتم في المنخفض من الأرض وكان الجبل يطل عليكم كما جاء في البخاري فرفعت لنا الصخرة يعني ظهرت لأبصارنا[4] .

٥ ـ ويقول في تفسير قوله تعالى « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » لم يمسخوا قردة ولكن مسخت قلوبهم وجعلت أخلاقهم كأخلاقها[5] .

---

(١) بيان القرآن ، ج١ ص ٦٩ .
(٢) بيان القرآن ، ج١ ص ٦٩
(٣) بيان القرآن ، ج١ ص ٧٠
(٤) بيان القرآن ، ج١ ص ٧٤
(٥) بيان القرآن ، ج١ ص ٧٥ .

٦ ـ وقال في تفسير قوله تعالى «وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ، فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » : المراد بالمقتول هنا نبي اختلف في قتله، ولم ينجح في قتله من حاول ذلك ، وذلك هو المسيح الذي حاول قتله اليهود ولم يقتلوه ونشأ في ذلك اختلاف ، والضمير في قوله تعالى « اضربوه » يرجع الى النفس ، فقد يكون ضميرها مذكراً بناءاً على المعنى ، والضمير في قوله تعالى « ببعضها » يرجع الى فعل القتل يعني اقتلوه بعض قتل أو لا تكملوا عليه فعل القتل ، وقد كان ذلك ، فلم يجر عليه القتل المجهز وبقي على الصليب ثلاث ساعات ولم تكسر عظامه وأبقاه الله حياً أو أحياه الله بعد موته ، ومعنى « ويريكم آياته لعلكم تعقلون » يعني أن المسيح الذي كان يظهر لكم موته قد أحياه الله ، لأنه كان غاية حياته إعلاء كلمة الله ، كذلك اذا تكاسلتم إعلاء كلمة الله خلدكم الله رغم أنكم أمة ميتة[1] .

٧ ـ وهكذا أول كلام المسيح في المهد لأنه يخالف التجربة والعادة الطبيعية ، وأنكر أن المسيح ولد من غير أب ،

---

(١) تفسير المنار ج١ ص ٧٩ .

وذكر أن عقيدة ولادة المسيح من غير أب ليست من عقائد الإسلام التي يجب الإيمان بها وانها من مبادىء المسيحية[1] ، وأن مريم كانت متزوجة بيوسف النجار وأن المسيح ولد بطريق عادي[2] .

٨ - وقال في تفسير قوله تعالى « أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله » ان المراد بالطير هنا - على طريق الاستعارة - رجال يستطيعون أن يرتفعوا من الأرض وما يتصل بها من أشياء واخلاق ، ويطيروا إلى الله ، فإن الإنسان يستطيع بنفخ النبي أن يتجرد من الأفكار البشرية السافلة ويحلق في عالم الروح[3] .

٩ - والمراد باليد البيضاء التي أعطى موسى الحجة المبرهنة[4] ، والمراد بالحبال والعصي في قوله تعالى « فألقوا حبالهم وعصيهم » الوسائل والحيل التي عملوها في إحباط سعي موسى عليه السلام ، والمراد أنهم لم يدخروا جهداً في معارضة موسى ، والعصا مجاز كقولهم

---

(١) بيان القرآن ج١ ص ٣١٣ .
(٢) بيان القرآن ، ج١ ص ٣١٤ - ٣١٥ .
(٣) بيان القرآن ، ج١ ص ٣٢١ .
(٤) بيان القرآن ، ج٢ ص ٧٦٦ .

« قرعه بعصا الملامة »[1] .

١٠ ـ وفسر قوله تعالى : « قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً » : لقد كان عيسى ابن ثلاثين سنة في ذلك الحين فاعتذروا وقالوا : لقد ولد ونشأ بأعيننا ويمرأى ومسمع منا ، وكل شاب صغير أمام الشيوخ الكبار لأنه ينشأ في أحضانهم ويكبر أمامهم[2] .

١١ ـ وقال في قوله تعالى : « فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى » : قال بعض المفسرين اضرب البحر بعصاك ليصير لهم طريقاً ، ولكنهم قد أبعدوا النجعة ، وقال بعضهم : والمراد بالضرب إسراع في السير وتؤيده اللغة . وقد قيل « ضرب يعسوب الدين بذنبه » يعني أسرع في الفرار من الفتن ، وقد كان هذا الطريق الذي اختاره موسى طريقاً معبداً من قبل يسلكه الناس[3] ، فالمراد أسرع ببني اسرائيل على الطريق الموجود .

وقال في سورة الشعراء في قوله تعالى : « اضرب

---

(١) بيان القرآن . ج٢ ص ٧٦٨

(٢) بيان القرآن ج٢ ص ١٢٦٣ .

(٣) بيان القرآن ، ج٢ ص ١٢٤٤

بعصاك البحر : يمكن أن يكون المراد به انطلق بعصاك في البحر » أو انطلق بجماعتك في البحر ، وتؤيده آية سورة طه « فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً »[1] . ويمكن أن يكون المراد في قوله تعالى « فكان كل فرق كالطود العظيم » قطعة من الماء وأن يكون المراد كل فريق من بني اسرائيل ومن جنود فرعون ، فتراءوا للناظرين كالأطواد الشامخة[2] .

١٢ ـ ويقول في تفسير قوله تعالى : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته » : المراد بدابة الأرض هو رحبعام ابن سليمان الذي تولى الملك بعده وفي عهده تضعضعت المملكة السليمانية واضطرب حبلها ، وقد سمي بدابة الأرض لأنه كان قاصر النظر لا يجاوز نظره الأرض ، وتنخر العصا كناية عن ضعف الحكومة وانتراضها ، والمراد بالجن شعوب أجنبية بقيت في حكم بني اسرائيل الى ذلك العهد[3] .

١٣ ـ وفسر منطق الطير في قوله تعالى : « وعلمنا منطق

---

(١) بيان القرآن ، ج٣ ص ١٣٩١ .

(٢) بيان القرآن ، ج٣ ص ١٣٩١ .

(٣) بيان القرآن ، ج٣ ص ١٥٣٦ .

الطير » : حمل الطيور للرسائل من مكان الى مكان كالحمام الزاجل[1] وفسر وادي النمل بأنها موضع في نواحي اليمن ، والنملة بطن من بطون العرب أو أمة كانت تسكن في وادي النملة[2] .

١٤ ـ ويفسر قوله تعالى : « ولسليمن الريح عاصفة تجري بأمره الى الأرض التي باركنا فيها » بأن كانت الرياح مساعدة له وأنها كانت تسير السفن ، أو المراد سير السفن وإن مراكبها الشراعية كانت تسير مسافة بعيدة[3] . « ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر » يعني كانت السفن تقطع في غدو ورواح مسافة لا يقطعها الإنسان الا في شهر[4] .

١٥ ـ وقال في قوله تعالى : « وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين» : المراد بالهدهد انسان كان يسمى الهدهد وكان رئيس البوليس السري في حكومة سليمان ، وقد جرت العادة بتسمية الرجال بالحيوانات والطيور كأسد وغيره في العرب وفوكس (FOX) وولف

---

(١) بيان القرآن ، ج ٣ ص ١٤٠٩ .
(٢) بيان القرآن ، ج٣ ص ١٤١٣ .
(٣) بيان القرآن ، ج٢ ص ١٢٧٨ .
(٤) بيان القرآن ، ج٣ ص ١٥٣٤ .

(WOLF) في الإنجليز ، وقد جاء في التوراة اسم ابن هدد وهما متقاربان[1] .

١٦ ـ وقال في قوله تعالى : « قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك » : ليس محمولاً على الحقيقة بل هو مبالغة في السرعة ، وقد كان بين العفريت والذي عنده علم من الكتاب مباراة ، فكان العفريت ـ وهو الرجل الذي يخوض في أمر بخبث وشدة ، ويوصله الى الكمال ـ ممثلاً للقوة البدنية ، وكان يحتاج إلى وقت أطول في احضار هذا العرش ، وكان صاحب العلم يستطيع أن يكمل مهمته في وقت قصير مع أنه لم يكن على جانب عظيم من قوة الجسم ، والمقصود ترجيح العلم على القوة[2] .

١٧ ـ ويقول في قوله تعالى : « فالتقمه الحوت وهو مليم ، فلولا أنه كان من المسبحين ، للبث في بطنه الى يوم يبعثون » : المراد أنه لو لم يكن من الدعاة الى دين الله لالتقمه الحوت أو مات غرقاً ولبث في بطن البحر الى يوم القيامة[3] .

---

(١) بيان القرآن ، ج٣ ص ١٤٣٥ .

(٢) بيان القرآن ، ج٣ ص ١٤١٦ ـ ١٤١٧ .

(٣) ايضاً ج٣ ص ١٥٩٠ .

١٨ ـ والمراد بالجن في قوله تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن » : طائفة من البشر اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في الخفاء ، وليس المراد به نفوس لا يقع عليها البصر، وقد جاؤوا من الخزرج وكانوا الباطنية والإسماعيلية في العهد الماضي(١)

١٩ ـ والمراد بذلك في قوله تعالى : « قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا » : يظهر أنهم كانوا نصارى وقد جاء ذكرهم على طريق النبوءة ، ويكون المراد شعوب مسيحية تبلغ الذروة في العظمة والرقي فتصبح بذلك جناً وعفاريت وعباقرة (في القوة والصنعة) ويؤمن بعض طوائفها بالقرآن(٢) .

تلاعب بالقرآن واللغة العربية :

ونقتصر على هذه الطرائف التفسيرية التي تدل على عقليته واتجاهه وعلى فراره من كل ما يطلب الإيمان بالغيب وبالقدرة الإلهية التي وسعت كل شيء وعلى التلاعب باللغة ولفظ القرآن ، وتدل دلالة واضحة على أن هذا الكتاب الذي نزل بلسان عربي مبين والذي وصفه الله باليسر والوضوح « ولقد

---

(١) بيان القرآن ، ج٣ ص ١٧١١ .

(٢) بيان القرآن ، ج٣ ص ١٨٩٣ .

يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر » لم يفهم منذ نزل ، وبقي لغزاً من الألغاز وسراً من الأسرار ثلاثة عشر قرناً ، وكان من أبعد الناس عن فهمه وأبخسهم نصيباً فيه هم الصحابة والسابقون الأولون الذين نزل بلغتهم وخاطبهم القرآن ، وسلف هذه الأمة ، وما هذه التفسيرات المتطرفة الا نسخة صادقة لتفسيرات الباطنية والإسماعيلية في العهد الماضي[1] .

دعاية وتهريج :

وقد شاع في الناس أن الفرع اللاهوري من أنشط الجمعيات والمؤسسات في نشر رسالة الإسلام في أوروبا والدعوة الإسلامية ، وقد أسلم عدد كبير من المسيحيين والمثقفين في انكلترا وألمانيا وفرنسا ، ولكن تحقق أن الدعاية أكثر وأعظم من الحقيقة ، وأن العدد الذي أسلم ضئيل جداً ، وكثير من هؤلاء المهتدين قد أسلموا من قبل واستغل اسمهم وإسلامهم القديم دعاة الأحمدية ، والباقي أكثرهم من المرضى والزمنى والعجائز والمريضات ، أو من الذين نبذهم المجتمع الأوروبي ، وهنا نبذة من مقالة لكاتب مسلم « فضل كريم خان درآني » بالإنجليزية قد سافر إلى لندن ١٩٣٤ م .

---

(١) راجع محاضراتنا في كلية الشريعة في جامعة دمشق ، المحاضرة السابعة .

« لا يوجد في عظماء الإنجليز الذين أسلموا من يرجع الفضل في إسلامه الى « ووكنج مشن » (Woking Mission) وقد أعلن اللورد هدلي أنه درس الإسلام بنفسه واعتنق الإسلام ، ولم أتعرف على الخواجه كمال الدين إلا قبل إسلامي بأسبوعين فقط ، وقد أسلم المستر مارماديوك بكتهال في مصر وبفضل الاتراك والمصريين وتأثيرهم ، وقد اعتنق سر ارجيبالد هملتن (Archibald Hamilton) بضرورة عائلية ، وهكذا اذا فحصنا وجدنا أن ووكنج مشن ، ليس لها في إسلام هؤلاء فضل ولا نصيب »[1] .

ويقول في نفس هذه المقالة :

« لست أدري كيف شاع في الهند أن جامع ووكنج من بناء القاديانيين ، الواقع أن هذا الجامع انما بني بالمال الذي تبرعت به إمارة بوفال الإسلامية ، أما المسكن الذي بجوار الجامع فهو في تذكار وزير حيدر آباد المشهور سرسالارجنك ، وقد بنى كل ذلك تحت اشراف العالم الألماني الدكتور لائتنر ، لقد أسكن المؤلف الإسلامي المشهور السيد أمير علي الخواجه كمال الدين في هذا الجامع ، وإلى الأول يرجع الفضل في بقاء هذا الجامع مركزاً للمسلمين »[2] .

---

(١) مجلة حقيقت اسلام لاهور يناير ١٩٣٤ .

(٢) المصدر السابق .

الفصل الرابع

رسالة القاديانية وانتاجها

وأخيراً تستعرض هذه الدعاوى المهولة وهذه الحياة الصاخبة ، وهذه المكتبة الضخمة[1] وهذه المعركة الحامية بين المسلمين ، ماذا كانت رسالتها ، وماذا كان انتاجها وماذا جنا منها العالم الإسلامي ؟

استعرض العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر المسيحي ، لقد زحف اليه الغرب باستعماره الغاشم وثقافته المجردة عن روح الدين ، وحضارته الملحدة وأخلاقه المادية ، فوقع العالم الإسلامي الذي كان قد ضعف في الإيمان والعلم والقوة المادية وبدا عليه الإعياء فريسة للغرب المسلح الفتي ، وحدث صراع عنيف بين الدين السماوي

---

(١) ألف المرزا نحو اربعة وثمانين كتاباً .

الأخير والرسالة الأخيرة ، وبين الحضارة المادية الملحدة ، ووقعت مشكلات سياسية ومدنية وعلمية واجتماعية طريفة تحتاج في حلها إلى إيمان قوي وعلم راسخ ، ودراسة عميقة واسعة ، وعقل كبير وشيء كثير من الإبداع والإبتكار والثقة بالنفس وقوة الشخصية وروحانية كبيرة ، وكان العالم الإسلامي في حاجة ملحة إلى مجدد ينفخ فيه روح الجهاد ، ويجدد فيه العلم ، وينشىء فيه الوحدة ، ويطبق - بايمانه الراسخ وعقله الكبير العبقري - بين الرسالة الإسلامية الخالدة وبين روح العصر المتجددة من غير أن يفقد الإسلام خلوده ومتانته والدين مبادىء وأحكامه ، ومن غير أن يحرم الجيل الإسلامي الجديد حقه من الحياة وحقه من التفكير وحقه من النهضة .

لقد كان العالم الإسلامي في حاجة الى داعية يوحد العالم الإسلامي وينفخ فيه حياة جديدة ويناهض الغرب الزاحف وحضارته الهاجمة بقوة ايمانه وجدة علمه وشدة جهاده .

وكان العالم الإسلامي يعاني أزمات دينية وخلقية وعلمية ، كان من أشد أمراضه الفاتكة وملامحه الشائنة الشرك السافر ، وعبادة القبور والضرائح ، والاستغاثة بغير الله ، والبدع الفاشية ، والخرافة الفاضحة ، وكان لكل ذلك في حاجة شديدة الى مصلح ديني شجاع يحارب الجاهلية في

المجتمع الإسلامي ويدعو الى التوحيد الإسلامي النقي والسنة البيضاء في قوة ووضوح وجد وصراحة ويصرخ بأعلى صوته « ألا لله الدين الخالص » صرخة تدوي لها السهول والجبال ، وتهوي له معالم الجهل والضلال ، وقد فعل ذلك رجال في مختلف أنحاء العالم الإسلامي في فترات مختلفة ، فخدموا الإسلام خدمة باهرة وأخرجوا - بإذن الله - عدداً كبيراً من المتسببين إلى الإسلام من الظلمات الى النور ومن عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، وأثمرت دعوتهم المخلصة الجريئة وآتت أكلها في حينها وبعد حينها وانصبت بفضلهم حركة الإصلاح والتجديد في تاريخ الإسلام .

وكان يعاني أزمة خلقية عنيفة بتأثير الحكومة الأجنبية والحضارة المادية الجديدة فكان في طريقه الى التحلل الإجتماعي والتفسخ الخلقي تطغى عليه عبادة المادة والشهوات والخضوع والاستكانة للقوي القاهر والغني الفاجر ، والتشبه بالسادة الأجانب وتقليدهم في شعائرهم وفي ما ليس من الفضيلة والحضارة في شيء ، وكان لذلك في حاجة عظيمة الى مصلح اجتماعي حكيم يحارب الاتجاه الخطر الذي يفقد هذه الأمة العظيمة - صاحبة الدعوة والرسالة - شخصيتها وكرامتها وجدارتها للسيادة والوصاية على العالم بل حقها للبقاء والحياة الكريمة .

وكان يعاني أزمة علمية ، كان يسود على كثير من طبقاته الجهل المطبق والأمية الغاشية ، وعلى طبقتها المثقفة الثقافة العصرية والجهل بالاسلام وشريعته ونظمه وتاريخه وماضيه ، وإمكانيات حياته وكانت الفجوة واسعة وعميقة بين الطبقتين المثقفة الثقافة الدينية القديمة . والمثقفة الثقافة المدنية ، وكانت هذه الفجوة تزداد اتساعاً وعمقاً على مر الأيام فكان في حاجة إلى دعوة تعليمية حكيمة تعنى بنشر العلم الصحيح وتثقيف الأمة والتقريب بين الطبقتين المتنافستين الإسلاميتين ، والى تأسيس دور العلم الكثيرة ودور النشر الكثيرة وإلى حركة التأليف والترجمة والنشر الصحيحة وإلى إنتاج الأدب الإسلامي العصري القوي الصحيح .

وكان من أعظم حاجاته دعوة دينية على منهاج الدعوة الإسلامية الأولى تدعو إلى الإيمان والعمل الصالح والحياة الإيمانية التي وعد الله عليها النصر والفوز والغلبة على الأعداء والسعادة في الدنيا والآخرة ، فما كانت هذه الأمة ـ منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ـ في حاجة الى دين جديد ولكنها كانت في فترات من تاريخها في حاجة إلى إيمان جديد يقاوم فتن العصر الجديد ومغريات الحياة الجديدة ، وقوى الكفر والمادية الجديدة .

وقد قام لكل حاجة من هذه الحاجات رجال في العالم

الإسلامي وأسهموا في التجديد والإصلاح المطلوبين المنشودين إسهاماً يذكر فيشكر ، وقد قاموا بواجبهم ومثلوا دورهم من غير دعوى ومن غير تحد ومن غير دعوة إلى إسلام جديد أو نبوة جديدة أو تكفير لعامة المسلمين فنفعوا من غير ضرر ، وخدموا من غير خطر ، ولم يزيدوا هذه الأمة افتراقاً وتشتتاً وفوضى ولم يجاهدوا في غير عدو وفي غير جهاد .

في هذه الساعة العصبية التي كان فيها العالم الإسلامي في اضطراب عظيم ظهر المرزا غلام أحمد ووقف في الهند - المركز الذي اشتد فيه هذا الاضطراب للحكم الإنجليزي المباشر - وركز فكره وكرس علمه وقلمه على موضوع واحد وعلى قضية واحدة « رفع المسيح ونزوله » ، وصرح بأنه أعظم أهدافه ، وعلى إلغاء الجهاد وتزكية الحكومة الإنجليزية وإطرائها والدعوة إلى الاخلاص لها ، ومكث طول حياته يجول في هذا الموضوع ويدور حوله ويبدأ ويعيد فيه ، ولو جردت كتبه ومؤلفاته التي تكوّن هذه المكتبة العظيمة من هذا البحث ومن هذا النقاش لبقيت أوراق وصحائف معدودة لا قيمة لها .

ثم قام في هذا العالم الإسلامي - الذي كان فريسة الإختلاف والنزاعات الدينية من قبل وقد كثرت فيه الفرق والطوائف - فدعا إلى نبوة جديدة وكفر من لا يؤمن بها وأقام بينه وبين المسلمين جداراً سميكاً وستراً صفيقاً من النبوة الجديدة ،

بقي العالم الإسلامي في جانب منه وجماعة تعد بالآلاف في جانب آخر ، فزاد المسلمين في الهند (وباكستان أخيراً) افتراقاً على افتراق وتشتتاً على تشتت ، وزاد في الفرق الإسلامية فرقة تقل منها في العدد وتزيد عليها في الضلال والبعد عن المسلمين ، والعداء للإسلام ، وهكذا زاد في مشكلات المسلمين مشكلة عظمى ، وزاد في العقد عقدة لا يزال المسلمون منها في تعب وبلاء .

إنه لم يضف إلى الثروة الإسلامية شيئاً يغتبط به ، ويشكره عليه العالم الإسلامي وتاريخ الإصلاح والتجديد فلم يكن مصلحاً دينياً ولا مصلحاً اجتماعياً ، إنه كان داعية شخصياً قد أسس لنفسه وأسرته وخلفائه إمارة روحية ارستقراطية مثل آباء آغا خان ، ونشر الفوضى الفكرية التي لا تزال مصدر اضطراب وإلحاد وثورة على الدين ، إن عدد أولئك الذين أسلموا واهتدوا من غير المسلمين في عصره ضئيل لا يجاوز عدد أصابع يد واحدة ، وإنما كانت جهوده وعنايته مصروفة إلى المسلمين وإثارة الشكوك فيهم .

الواقع أنه لو لم تكن تلك الفوضى الفكرية التي كانت الهند تعانيها بصفة عامة وبنجاب بصفة خاصة بسبب السلطة الإنجليزية والقراصنة الدولة المسلمة وتبلبل المجتمع الإسلامي ، وبسبب المتصوفين الجهال الذين كانوا ينشرون

إلهاماتهم وأحلامهم ، ولولا جهل الجيل الجديد بالإسلام ولولا تبني الحكومة الإنجليزية لهذه الدعوة واحتضانها وحمايتها وتشجيعها ، لولا هذه العوامل كلها ، لما كان لهذه الدعوة الخرافية ـ المؤسسة على الإلهامات والأحلام والتأويلات ـ وهذه الحركة الدخيلة الهزيلة مجال ومتسع في المجتمع الإسلامي ، ولكنها عقوبة من الله على الجهل والعبودية والكفر بنعمة الإسلام الصحيح الخالد والنبوة المحمدية الخاتمة الأخيرة .

ونختم الكتاب بكلمة مقتبسة من احدى محاضراتنا التي القيناها في الجامعة السورية بدمشق ونحن نتكلم عن الحركة الباطنية ومصيرها في التاريخ :

« ويبدو لي أيها السادة ، كلما قرأت تاريخ الباطنية وإخوان الصفا وتاريخ البهائية والقاديانية أن أصحابها قرأوا تاريخ الإسلام وتاريخ الرسالة المحمدية والدعوة الإسلامية قرأوا رجلاً يقوم في جزيرة العرب وحيداً فقيراً أعزل ويدعو الى عقيدة وشريعة ، فلا يلبث أن يكون أمة ويكون دولة ويكون حضارة ، وبرغم التاريخ على أن ينحو نحواً جديداً ، فغرت هؤلاء نفوسهم الطامحة وأغرتهم بأن يجربوا هذه التجربة وعندهم الذكاء والدهاء وقوة التنظيم والعلوم والأتباع ، عسى أن يكونوا أمة ودولة وحضارة ولماذا لا تثمر الجهود ، ولماذا لا

تتكرر المعجزة ؟ والفطرة البشرية لا تزال هي الفطرة ولا يزال الناس أشباهاً . لقد رأى هؤلاء الطامحون هذا الرجل الوحيد الفقير الأعزل ولم يروا ما يعتز به من رسالة ونبوة وشخصية وسيرة ، ولم يروا تلك الإرادة الغلابة التي قضت بانتصاره وظهوره وخلوده « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » . وقد أثمرت جهودهم موقتاً فكان لهم أتباع وأشياع ، وقد استطاع بعضهم - كالباطنية - أن يقيم دولة ، وقد ازدهرت هذه الدولة وبقيت تنظيماتهم وحيلهم واستدراجاتهم ، وما لبثت أن تبخرت وتلاشت وبقيت ديانتهم في نطاق ضيق لا تقدم ولا تؤخر في العالم . أما الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فلا يزال القوة الروحية الكبرى ولا يزال صاحب أمة ، ودول وحضارة ، وأما شمس النبوة المحمدية فلا تزال مشرقة لم تكسف ولم تحتجب يوماً واحداً » .

المصادر القاديانية

(حرصنا على أن نذكر مع أسماء الكتب السنين التي طبعت فيها والطبعات ولكننا وجدنا بعض المطبوعات لم يذكر فيها السنة التي طبعت فيها وبيان الطبعة) .

١ ـ سيرة المهدي ، جزء ١ ـ ٢ ، الطبعة الثانية سنة ١٩٣٥ م .

سيرة المهدي ، الجزء الثالث الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩م .

٢ ـ كتاب البرية ، الطبعة الثانية سنة ١٩٣٢ .

٣ ـ الأربعين ، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٠ .

٤ ـ حقيقة الوحي ، المطبوع سنة ١٩٠٧ .

٥ ـ تحفه شاهزاده ويلز ، (في اللغة الإنجليزية) الطبعة الثانية سنة ١٩٢٢ .

٦ ـ براهين أحمدية ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٠٧ .
٧ ـ مكتوبات احمدية ، الجزء الخامس .
٨ ـ كشف الإختلاف ، فبراير سنة ١٩٢٠ ، مطبع ضياء الإسلام ، قاديان .
٩ ـ تبليغ رسالت .
١٠ ـ حياة ناصر ، للنواب ناصر الدهلوي ، صهر المرزا غلام أحمد .
١١ ـ مرقاة اليقين في حياة نور الدين، ملتزم الطبع والنشر: احمديه انجمن اشاعت اسلام ، احمديه بلدنك ، لاهور .
١٢ ـ كلمة الفصل .
١٣ ـ تشحيذ الأذهان .
١٤ ـ صحيفة الفضل ، الرقم ٢٣٦٩ ، سنة ١٩٢٣ م
١٥ ـ صحيفة بيغام صلح ، المجلد الرابع الرقم ١١٤ .
١٦ ـ تفسير محمد علي اللاهوري .
١٧ ـ نزول مسيح ، الطبعة الأولى سنة ١٩٠٩ .
١٨ ـ معيار الأخيار .
١٩ ـ سرمه چشم آريه ، الطبعة الأولى سنة ١٨٨٦ الرقم ٤٦٢ .
٢٠ ـ مكتوبات أحمدية ، الجزء الثالث .
٢١ ـ Our Indian Musalmans

٢٢ ـ فتح إسلام ، سنة ١٨٥٣ الرقم ٢٢٧ .
٢٣ ـ إزالة الأوهام ، الطبعة الثانية سنة ١٩٠٢ .
٢٤ ـ توضيح مرام ، الطبعة الثانية سنة ١٨٩٧ .
٢٥ ـ خطبة الهامية ، المطبوع سنة ١٩٠٣ .
٢٦ ـ الرسالة العربية ، ملحقة به « آئينه كمالات اسلام ، الطبعة الثانية يوليو سنة ١٩٢٤ » .
٢٧ ـ حقيقة النبوة ، سنة ١٩١٥ .
٢٨ ـ تحفة الندوة سنة ١٩٠٢ ، مطبع ضياء الإسلام قاديان ،
٢٩ ـ ايك غلطى كاازاله ، ملحق حقيقة النبوة .
٣٠ ـ آئينه كمالات اسلام أو دافع الوساوس الطبعة الثانية ١٩٢٤ .
٣١ ـ انجام آتهم ، سنة ١٨٩٧ .
٣٢ ـ نجم الهدى .
٣٣ ـ اعجاز احمدي ، سنة ١٩٠٢ .
٣٤ ـ آسمانى فيصله ، ٣٠ دسمبر سنة ١٩١٧ ، ربيع الأول سنة ١٣٣٦ مطبع ضياء الإسلام ، قاديان .
٣٥ ـ الحكم .
٣٦ ـ تبليغ رسالت .
٣٧ ـ ريويو آف ريليجنز .
٣٨ ـ ثر ثمين .
٣٩ ـ انوار خلافت ، سنة ١٩١٦ .

٤٠ ـ رد تكفير اهل قبله ، سنة ١٩٢٦ ، مقبول عام بريس لاهور .

٤١ ـ بيان القرآن (محمد علي) الجزء الأول كريمي بريس .

المحتوى

الموضوع	الصفحة
ترجمة المؤلف	٥
كلمة بين يدي الكتاب	٧
الباب الأول	
الشخصيات الأساسية وعصرها وبيئتها	١٩
الفصل الأول : القرن التاسع عشر المسيحي	٢١
الفصل الثاني : المرزا غلام أحمد القادياني	٢٤
نسبه وأسرته	٢٤
ولادته	٢٥
ثقافته	٢٦
وظيفته وأشغاله	٢٦
صفته وأخلاقه	٢٧

صحته وأمراضه ٢٨
معيشته ٢٨
زواجه وذريته ٢٩
وفاته ٣٠
الفصل الثالث : الحكيم نور الدين البهيروي ٣٢
نشأته وثقافته ٣٢
شخصيته وعقليته ٣٥

الباب الثاني

تطور فكرة المرزا غلام أحمد وعقيدته وتدرجه في الدعاوى ٣٧
الفصل الأول : الرجل كمؤلف وداعية إسلامي ٣٩
كتاب براهين أحمدية ، والتحدي عليه ٤٠
دعوة وسياسة ٤٣
مصير الكتاب ٤٣
نظرة في الكتاب ٤٤
الالهامات والتحديات في الكتاب ٤٥
عقيدته في هذا الكتاب ٤٩
تأثير الكتاب ورد فعله ٥٠
مناظرته للآرية ٥١
اكتشاف خطير ٥٢

الفصل الثاني : من التأليف والدعوة إلى دعوى المسيح الموعود ٥٤

بين صديقين ٥٤
اقتراح خطير ٥٥
الفكرة وأهميتها ٥٦
المرزا يدعي أنه مثيل للمسيح ٥٩
المشاكل وحلولها ٦٢
تفسير دمشق ٦٢
الرداءان الأصفران ٦٤
المنارة الشرقية ٦٦
حدة وتهكم ٦٦
قبر المسيح في كشمير ٦٧

الفصل الثالث : من المسيحية إلى النبوة فما فوقها ٧٠
خطة مرسومة ٧٠
أعلان وتصريح ٧١
تصريحات وتحديات ٧٤
نبوءة مستقلة ٧٦
تكفير من لا يؤمن بهذه النبوءة ٧٨
التناسخ والحلول ٧٩
بعثتان للنبي ٨٠

التفوق على الأنبياء ٨١
تطرفاته ٨٣

الباب الثالث

القادياني في الميزان ٨٥
الفصل الأول : حياته ومعيشته ٨٧
في فجر الحياة ٨٧
الدين في الاسلام ٨٨
من دلائل النبوة ٨٩
زعيم سياسي ٩٠
الحياة المنزلية ٩٠
حياة مترفة ٩٢
الحياة في مركز الدعوة « الربوة » ٩٣
الفصل الثاني : مظاهرة الحكومة الانجليزية وإلغاء الجهاد ٩٥
الدور الذي مثلته بريطانيا والانجليز في الشرق ٩٥
سيرة الأنبياء وخلفائهم ٩٦
دعوة إلى تأييد الانجليز وإلغاء الجهاد ٩٧
خدمات المرزا في تأييد الحكومة الانجليزية ٩٨
حرز للدولة وحصن لها ١٠٢
من غرس الانجليز ١٠٣
علة الحدة في مناظرة القسوس ١٠٣

تحريم الجهاد في هذا العصر ١٠٤
في سبيل الانجليز ١٠٥
موقف القاديانية إزاء العالم الإسلامي ١٠٦
الفصل الثالث : البذاءة والاقذاع ١٠٧
من أخلاق الأنبياء وخلفائهم عفة اللسان ١٠٧
سلاطة اللسان وبذاءة القول في حياة القادياني ١٠٨
أمثلة من الهجاء والبذاء ١٠٨
الفصل الرابع : نبوءة لم تتحقق ١١٢
قصة طريفة ١١٢
خطبة لفتاة ١١٢
نبوءة وتحد ١١٣
طلب يرفض ١١٥
معاكسة القدر للمرزا ١١٦
لا بد من الانتظار ١١٨

الباب الرابع

القاديانية في الميزان ١١٩
الفصل الأول : دين إزاء دين وأمة إزاء أمة ١٢١
قضية شاذة في التاريخ الإسلامي ١٢١
الدين يشمل الحياة كلها ١٢١
مزاحمة القاديانية للإسلام في الحياة ١٢٢

مزاحمة في المقدسات والشعائر ١٢٣
ترحيب القوميين الهنديين بالقاديانية ١٢٥
الفصل الثاني : ثورة على النبوة المحمدية ١٢٨
موهبة خص الله بها هذه الأمة ١٢٨
الحارس من الفوضى الفكرية ١٢٩
فضل عقيدة ختم النبوة ١٢٩
منافسة للنبوة المحمدية ١٣١
المجتمع الإسلامي قائم على شخصية محمد (ص). ١٣٣
المتنبئون ١٣٤
التفريق بين المسلمين ١٣٦
افتراض خاطىء ١٣٧
عاقبة اشتراط المكالمات ١٣٩
السر في انكار سلسلة النبوءة ١٤١
مصدر المخاطبات ١٤٢
غرضه من اثبات استمرار النبوة ١٤٥
الفصل الثالث : الفرع اللاهوري وعقيدته وتفسيره .. ١٤٨
الطائفة الصريحة ١٤٨
موقف معقد ١٤٨
عقيدة محمد علي اللاهوري ١٤٩
إلحاد في التأويل وتحريف في التفسير ١٥٠
أمثلة من التفسير ١٥٠

تلاعب بالقرآن واللغة العربية ١٥٩
دعاية وتهريج ١٦٠
الفصل الرابع : رسالة القاديانية وإنتاجها ١٦٢
المصادر القاديانية ١٧١

أما بعد فقد كتبت هذا الكتاب في أسلوب عصري شائق ، وتحاميت الأسلوب الجدلي القديم ، حتى لا يزهد في قرائته الشباب المثقف ، وتناولت شخصية مؤسس الديانة بالدراسة والتحليل العلمي ، وذكرت كيف تطورت فكرته وعقيدته ، وانتقدت الديانة وصاحبها في اسلوب علمي نزيه ، وتحريت الدقة والصحة والأمانة في ترجمة العبارات والنصوص وحكايتها والاحالة إلى الصفحات ، وذكرت المصادر القاديانية مع بيان طبعاتها لأن القاديانيين عرفوا بالتغيير في الطبعات المختلفة ، واشتهروا بالمكابرة وجحود النقل .

وأرجو أن يكون هذا الكتاب الصغير منيراً للفكر وزاداً للدعاة ، ومغنياً عن الأسفار الكبيرة .

الدار السعودية
للنشر والتوزيع